السَّبِيل
إلى
منهج الطائِفة المنصُورَة
(٢)

التِّيه والمخرج

أسباب التِّيه • أصول الأصول • أصلان آخران

بقلم
عدنان بن محمد آل عرعور

مؤسسة قرطبة
طباعة . نشر . توزيع
ت : ٥٣٥٠٢٧

السبيل
إلى
منهج الطائفة المنصورة
(٢)

التيه والمخرج

أسباب التيه * أصول الأصول * أصلان آخران

- القِسمُ الثاني -

بقلم
عدنان بن محمد آل عرعور

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية المزيدة والمنقحة

١٤١٦ هـ = ١٩٩٥ م

مؤسسة منارة قرطبة

للجمع التصويري وتجهيزات الطباعة

٦٤ ش الخليفة ☆ مدينة الأندلس ☆ الهرم ☆ الجيزة ☆

ت ٥٣٥٠٢٧

السَّبيل

مقدمة

إنَّ الحمد لله نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه ، ونَعوذُ باللَّهِ من شُرورِ أنفسِنا ومن سيئاتِ أعمالِنا ، مَن يَهدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ له ، ومن يُضْلِلْ فلا هاديَ له ،

وأشهدُ أن لا إلهَ إلاَّ اللَّهُ وحدَهُ لا شَريكَ له ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُه

أمَّا بعد :

فلا يخفى على مسلم واعٍ ، ما تعانيه أمّتنا الإسلاميّة ، من واقع مفجع ، وحال مؤلمة ، تُحزن قلب الصادق ، وتُفتّت كبد المخلص ، إذ اجتمع عليها ضعف ذاتي شديد ، وعدو خارجي ماكر ، استغل هذا الضعف الموهن ، فاخترق منه صفوفها ، ثم توغل في أعماقها ،فصنع لها أعداء داخليّين شتّى ، ما بين ظالم فاجر ، وفاسق لاهٍ ، ومروّج لفكر دخيل ، باسم الإسلام حيناً ، وباسم الحضارة أحياناً، على حين تمزق في صفوفها ، وغفلة من عوامّها ، وتفرق بين خواصّها ، فزاد بلاءها بلاءً ، وجعلها لا تلوي على شيء

فتصدّى لهذا المصلحون ، فأخطأ كثير منهم الطريق ، إذ أخطأوا التشخيص ، فأخطأوا المعالجة ، فانعكس أثر ذلك ضرراً بالغاً على الدعوة

والسمعة ، فتعثرت الأولى ، وساءت الثانية ، فضلاً عن مصائب شتّى حلّت بالمستضعفين من المسلمين

ولما كان وعد الله حقاً ، وكلمته صدقاً ، في نصره للمؤمنين إن هم نصروه كان لزاماً على المصلحين أن يعيدوا النظر في تشخيصهم ، وأن يراجعوا طرق معالجتهم ، فما كان الله ليخلف وعده ، وما كان الله ليخذل جنده ﴿ **ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز** ﴾ إذن ثمت أمور من عند أنفسنا جعل نصر الله يتأخر عنا ، وذلك لخلل لا بد من معرفته ، وثغرات لا بد من سدّها ، وعندئذ يتحقق وعد الله تعالى ، ويتنزل نصره ﴿ **ومن أوفى بعهده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به** ﴾

فلتستبشر أمّة الإسلام بنصر الله إن هي نصرته في نفسها أولاً ، ولتسعد بتمكينها في الأرض إن هي مكّنت الله في قلوب أفرادها

فما هي هذه الثغرات لكي نصلحها ؟ وما هي هذه الأمراض لكي نداويها ؟ كيما يكون الله معنا ، فيكيد لنا على أعدائنا ، ويغير حالنا .. كلُّ أجوبة هذه التساؤلات .. تجدها في « السبيل » الذي هو التشخيص الصحيح لمرض هذه الأمة ومعالجته على ضوء الكتاب والسنة ، وقد رُسم فيه الطريق الأقوم لنهوض هذه الأمة من كبوتها ، واستفاقتها من غفوتها ، لتكون الأمّة التي أرادها الله عز وجل

ولذلك فليس المقصود من هذا الكتاب رجلاً معيّناً ، ولا جماعة مخصوصة ، بقدر ما هو تشخيص حقيقي لواقع مؤلم ، ومعالجة لهذا الواقع .

فضلاً عن أنه سعي صادق ، وخطوة منضبطة لتوجيه هذه الصحوة

وتأصيلها ، وتوعية أفرادها ، وتثبيتهم على الحق ، والمنهج المثمر .... لا تربيتهم على العاطفة الجيّاشة ، والحماسة المؤقّتة اللتين تزولان بصيحة ، وتنطفئان بنفخة ..... وهذا هو الذي يُفْرِحُ أعداءهم ، إذ إليه يصبون ، ومنه يخترقون ..... وبتأصيلهم وحسن تربيتهم يبقون ما بقي الحق ، ويصمدون كما صمد الأنبياء ، فينالون ماناالوا من التوفيق في الدنيا والفوز في الآخرة ويكفينا عبرة ما حل بنا من كوارث ، وما نُصب لنا من أفخاخ ، وآن لنا أن ندرك الطريق المستقيم ، ونسلك المحجة الواضحة

ففي الجزء الأول منه ذُكر : الواقع المضطرب الذي يعيشه العالم ، والحال المؤلمة التي يعيش فيها عالمنا الإسلامي ، وبُيّن فيه الأسباب الحقيقيّة الكامنة وراء هذا الضعف ... من جهل بحقيقة هذا الدين وأهدافه ، وتفرق مُخْزٍ ، وفقدان للإخلاص والذات ، فضلاً عمّا يكيده أعداء الله بهذه الأمة ، وما يتربصون به ، كما ذُكر فيه أخطاء التشخيص والمعالجة المرتجلة ، وصور مؤلمة من صور التربية التي تمارسها بعض الجماعات الإسلامية ثم ذكر طريقة العلاج ، سبيل النجاة ، وعواصم الحفظ

وفي هذا الجزء : وُضّح السبيل الأمثل والوحيد لضبط فهم الكتاب والسنّة، والذي به يزول الخلاف ، وتتوحد الأمّة ، وهو أصل أصول الطائفة المنصورة .. ثم ذُكر فيه أصلان من أصولها .

وعُرّج في الجزء الثالث على أصل عظيم من أصول الطائفة المنصورة ، وسبيل قويم من سبلها ، يبيّن سبب الانحراف وخطورته ، ومعنى الاتباع ووجوبه ومعنى الابتداع وحرمته ، وعلامات كلٍ من أصحاب الطريقين ، ثم ختم ببعض

قواعد الإنصاف التي تضبط المسلم على الصراط ، وتقيه من الانحراف ، من غير جفاء منفّر ، ولا غلو مقيت ، ولا تساهل مشين

وسيتتابع السبيل - إن شاء الله - في أجزائه القادمة ، على ذكر بقية أصول الطائفة الناجية التي بالتزامها يزول الخلاف ، وعلى ذكر صفاتها التي بها تتميّز عن الطوائف الضالة ، ومفاهيمها التي بها يوضح طريق تشخيص أمراض الأمّة وسُبل معالجتها ، ثم النهوض بها

ومن رأى في هذا الكتاب شيئاً .. فليتدبّر قبل أن يتعجّل ، وليستفصل ولينصح قبل أن يحكم ، ومن خالف شيئا من هذا فقد فاته صفة من صفات المؤمنين المخلصين

ولقد ذكرت سرّ كثرة استشهادي بأقوال الداعية سيد قطب رحمه الله في الجزء الأول فلتراجع

والله أسأل : أن ينفع به ، وأن يجعله خالصاً لوجهه .. وما كان من خطأ فمن نفسي والشيطان ، وما كان من صواب فمن توفيق الرحمن ، وصلى الله وسلم على النبي المختار، وعلى آله وصحبه البررة الأخيار ، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم القرار . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وكتبه

عدنان بن محمد آل عرعور

مباحث هذا الكتاب

- سبيل النجاة
- أصل أصول الهداية وأدلته
- معالم وضوابط في العقيدة والمنهج
- من أصول منهج السلف

الأول : التمسك بالإسلام جميعاً

- من الصغائر والجزئيات ما يكون سبباً في دخول الجنة
- شبهات
- الحكم الفصل

الثاني : الدعوة إلى التوحيد أولاً ، والعمل بالعبادات ثانياً ، مع التمسك بالأخلاق دائماً

- ما هو التوحيد الذي يجب الدعوة إليه
- الأخلاق مع التوحيد
- كيف تتكون الأخلاق
- ما هي الأخلاق الحسنة

سبيل النَّجاة

إذا تبيَّن لك - رحمني اللّه وإياك - أسباب الخلاف وخطورته ، وضرورة الخلاص منه - فاعلم أنَّه لا نجاة منه ولا من هذه المزالق الخطيرة ، والتزيين المضلّل ، الذي تعيشه الأمّة الإسلاميّة إلا بتوحيد الصفوف ، بعد إخلاص النيات ، وتوحيد الصفوف لا يكون إلا بتوحيد الكلمة والمنهج ، وتوحيد الكلمة والمنهج لا يكون إلّا بالرجوع إلى الدين الحنيف ، والتمسُّك به

« لكن ؛ يمكن أن يقال : كيف تدعون الناس إلى الرجوع إلى الدين .. والدين مختلف فيه : عقيدةً ومنهجاً ، شريعةً وسلوكاً ..

وهب أن الناس رجعوا إلى الدين ، فماذا سيجدون سوى الخلاف ... والخلاف على أشدّه ... وسيجدون الطوائف كلّها تّدعي الأخذ من الكتاب والسنّة ، وتزعم أن فهمها هو الفهم الحقّ ، فماذا يفعل الناس ... وكيف يتصرفون »

لا شك أن الدين مختلف فيه ، وأن رجوع الناس إليه دون ضابط يضبط لهم الفهم الصحيح ، وميزان يرجّح لهم الصواب .. إنما هو دوران في حلقة مفرغة ، وعودة من حيث البدء .

ولذلك ؛ كان لا بد حين دعوة الناس إلى الإسلام ، من دعوتهم كذلك إلى هذا الضابط مع بيانه وقواعده ... حتى إذا ما رجع الناس إلى دينهم ، ميّزوا

بهذا الضابط الصواب من الخطأ ، وعرفوا بهذا الميزان الحقّ من الباطل ... فتمسكوا بهما ... وعندئذ ينصرون ، وفي آخرتهم ينجون

« لكن ، هل هناك ضابط ..؟ وما هو ...؟ وأين هو ...؟ وما دليله ...؟ وهل يمكن أن تتوحد الأمّة به »

لا شك أن هناك ضابطاً ، بل لا بد أن يكون هناك ضابط ...

وهل يعقل أن يترك الله آخر دين أنزله للناس متشابهاً ، لا تُضبط نصوصه ، ولا يعرف الحق بين المختلفين

وهل من حكمة الله تعالى ، أن يأمرنا بالاعتصام ، ويحرم الاختلاف ، ولا يبيّن لنا الضابط الذي يوحّد الفهم ، والسبيل الذي يزيل الاختلاف ، ويوّحد الأمّة ..؟!

وهل من عدله ، أن يوجب علينا الاتفاق ، ويحّرم الشقاق ، ولا يقيم علينا الحجّة ببيان السبيل الذي يرفع الشقاق .. بل يترك هذا ، لفكر زيد أو رأي عمرو ولنزداد اختلافاً وشقاقاً ...

إنّ هذا لا يليق برئيس بلديّة ، أو بمدير مرور ... أن يترك الناس يسيرون في الشوارع كلّ حسب رغبته ، وكلٌ حسب فهمه ... ثم تصور - بعد ذلك - ماذا سيكون .. وإذا كان هذا لا يليق ببشر مخلوق ، فكيف برب عليم حكيم رحيم ، سيحاسب الناس على هذا الاختلاف

﴿ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم ﴾ [آل عمران -١٠٥]

« إذن ضابط الفهم ، ومزيل الاختلاف ، موجود في الكتاب والسنة ..»

نعم - والله - إنه لموجود ، وبيّن لا لبس فيه ولا غموض ، وما علينا إلا

التجرّد من الشوائب والتقليد ، والمورثات الخاطئة ...ثم الإقبال بإخلاص وعلم على الكتاب والسنة ، لمعرفة هذا الضابط ، والالتزام بهذا السبيل

ثلاث ومضات ، لثلاثةِ مسارات :

وقبل التفصيل في الأدلة ، لا بد من ذكر ثلاث ومضات ، لتلقي الضوء على مسارات ثلاثة

○ **الومضة الأولى : الخلاف المذموم :**

المقصود بالاختلاف المذموم ما كان في العقائد والطرق ، والأصول والأفكار المخالف لمنهج السلف .. لا خلاف التنوع والفهم والاستنباط

وللمسألة تفصيل ليس هذا محله

○ **الومضة الثانية : وضوح الطريق :**

أرأيت لو أنَّ أمامَ قوم أكثر من سبعين طريقاً ، ليس فيها طريق سالك مأمون إلّا واحداً ، فعبرت كل فرقة من طريق ، فهلكوا جميعاً إلّا الطائفة التي سلكت الطريق الأول ؛ نجت ، فهل من رجل في رأسه ذرة من عقل ، أو مُسكة من تفكير ، يسلك غير طريقها

○ **الومضة الثالثة : ضبط الفهم لازم لحفظ الدين :**

اعلم - هداني اللّه وإياك طريق الرشد - أن الله ما كان ليحفظ كتابه وسنة نبيّه ﷺ نصوصاً تقرأ ثم يذر الناس يفهمون مقاصدهما حسب أفهامهم ، ونزعات عقولهم ، ونتائج تجاربهم ! وما كان اللّه ليترك العباد في منازعاتهم واختلافاتهم ، ثم يأمرهم بالاعتصام ، دون أن يرشدهم إلى سبيله ، وكيفيّة تحقيقه ، ودون أن يبين لهم ضابط الفهم ، الذي هو سبيل الاعتصام ، وطريق

الخلاص من هذا الخلاف ! محال هذا ؛ وهو الرءوف بعباده ، ﴿ **وما كانَ الله ليضلَّ قوماً بعد إذ هداهُم حتى يبين لهم ما يتقون** ﴾ [التوبة:١١٥] .

إي وربي إنَّه لأرأف بعباده من أنفسهم ، ولأرحم بهم من أن يَدَعَهم حيارى مختلفين ، كل فرقة منهم تفهم الإسلام فهماً يناقض فهم الأخرى ، وكلهم يدّعون أنهم على الحق المبين ، معاذ اللَّه أن يكون هذا !

ولذلك أخبرنا رسول اللَّه ﷺ : أنَّ أمة الإسلام ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة ، كل هذه الفرق مخطئة بل ضالة ، إلّا طائفة واحدة ... فمن هي - يا ترى - هذه الطائفة ؟

لا شك أن هذه الفرقة التي استثناها رسول الله من الضلال والنار ، هي الفرقة الناجية المنصورة ، التي يجب التزام فهمها ، واتباع منهجها

فما هي هذه الفرقة ؟ وما هي أصولها ، ومفاهيمها وصفاتها ؟ كيما نتمسك بها ، ونسلك سبيلها ، فننتصر في الدنيا كما انتصرت ، وننجو في الآخرة كما نجت

« ... وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ، كلها في النار غير واحدة » [1]

فالنجاة - إذن - تكون باتِّباع طريق هذه الجماعة ، مع حسن النية والقصد ، والإخلاص لرب الخلق

وإذا كان الأمر كذلك ، فهذه الومضات ، كافية لبيان ثلاثة مسارات :

▫ الأول :

أنَّ هذا الضابط الملزم ، والمنهج القويم ، لم يترك لاستنباط عقولنا ، ونتائج

---

(١) حسن . رواه الترمذي (٢٦٤١) ، وأصحاب السنن بنحوه

تجاربنا ، وإلا عدنا من حيث بدأنا في الاختلاف ، وزيادة الشقاق . ولذا كان بدهيا أن يكون منصوصاً عليه في الكتاب والسنة ، وما علينا إلا الرجوع إليهما لمعرفة هذا الضابط

▫ الثاني :

أن هذا الضابط هو : منهج الطائفة المنصورة ، وفهم الفرقة الناجية ، التي أشارت إليه الآيات والآحاديث

▫ الثالث :

أنَّ بمعرفة هذا الضابط والالتزام به ، والسير على منهج هذه الطائفة يزول الخلاف ، وتتم الهداية ، وبالإعراض عنه ، يكثر الخلاف ، وتكون الغواية .. وأنه لا منجى لهذه الأمّة من هذه الاختلافات إلا بالاعتصام به وكل من أعرض عن هذا العاصم ، هلك وخاب وخسر ، مهما كانت نيته ومهما كانت أدلته « ... كلها في النار إلا واحدة ...»

ثم .. إذا كانت تُسوّغ مخالفات جميع هذه الطوائف للكتاب والسنة ، بمبررات مختلفة .. - وربما يظن أنها مقنعة - فمن هي - إذن - طوائف الضلال التي ذكرها الرسول ﷺ من أمته ؟.

وكيف يمكن التمييز بين صدق هذه المسوغات ... وخطأ تلك ... وضلال الأخرى ؟؟؟ إنه لا يمكن معرفة الحق منهم ، إلّا بالرجوع إلى منهج هذه الطائفة ميزاناً وتقويماً ، منهجاً وسلوكاً

وستظلّ الأمّة تعيش في ضعفها ، وتراوح في مكانها .. تلهث ولا تسير ، تسقط ولا تنهض ، تئن ولا تُشفى .. تقوم من كبوة لتهوى في محنة ، وتخرج

من مكر لتنزلق في مصيدة .. وستبقى هكذا .. حتى تدرك هذا المنهج ، وتسلك هذا السبيل ، الذي به تعالج معظم أمراض الأمّة ، وبه تشفى بإذن الله ، وبه يكون الخير كله

أصل أصول الهداية وأدلته

بعد أن ذكر رسول الله ﷺ افتراق هذه الأمّة « ... وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة .. كلها في النار إلا واحدة »

سئل عليه الصلاة والسلام

« من هي : يا رسول الله ؟ قال : من كان على ما أنا عليه وأصحابي »[1]

فاستبان بهذا البيان ، من هي الفرقة الناجية ، التي يجب اتباعها في العقيدة والمنهج ، والشريعة والسلوك

ولقد دأب بعضهم على تناسي هذا الحديث أو تضعيفه ، بلا حجة تذكر ، ولا علم يؤثر ...وهب أن الأمر كذلك ؛ فماذا يقولون عن هذا الواقع المفجع في الاختلاف .. وهل أمّه محمد ﷺ متّفقة...؟ ! والله لو لم يكن هذا الحديث موجوداً أصلاً ، لكفى بهذا الواقع شاهداً على معناه

ثم لماذا هذا التغافل والتجاهل عن هذا الكمّ الهائل من الآيات والأحاديث الأخرى والآثار عن السلف ، في وجود التفرق في أمّة الإسلام وتحريمه ، وفي وجوب الاعتصام والتزامه ، وسلوك منهج الطائفة المنصورة

وإذا فرضنا أن الحديث لاوجود له..فهل كان هناك أمّة مع رسول الله ﷺ

(١) سبق

مستقيمة على الهدى ...؟ فإذا كان الأمر كذلك ... فما حكم الذين خرجو عنهم في العقيدة والمنهج ...؟ فإذا قررنا أن الصحابة كانوا على الحق فمن خالفهم قطعاً كان على الضلالة ، ومن كان على الضلالة كان في النار .. فتمّ بهذا مقصود الحديث « كلها في النار إلا واحدة ..»

والنصوص الأخرى الكثيرة من الكتاب والسنة تشهد لهذا المعنى

وإليك هذه الباقة العطرة ، من الأدلّة الفوّاحة ، والحُججِ البيّنةِ على ما سبق من وُجوبِ اتّباعِ منهجِ الصحابة ومن تبعهم بإحسان ، الذي هو سبيل الخلاص من كل فتنة واختلاف :

○ **الأوّل** : قال تعالى :

﴿ والسّابقون الأوّلون من المهاجرين والأنصار والذين اتّبعوهم بإحسانٍ رضي الله عنهم ورَضوا عنه وأعد لهم جنّات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم ﴾ [التوبة:١٠٠] .

فهذا نصٌّ صريحٌ واضحٌ في :

- تزكية اللّه للصحابة
- ورضوانه عنهم جميعاً **﴿ رضي اللّه عنهم ورضوا عنه ﴾**[1]
- وإيجاب اتباعهم **﴿ والذين اتبعوهم ... ﴾**
- وأنهم الطائفة المنصورة المرضي عنها

ثم ... لماذا رضي اللّه تعالى عنهم ؟ هل كان رضاه عن أجسامهم ،

---

(١) ومن استثنى منهم أحداً فعليه الدليل نصاً لا اجتهاداً

وألوانهم وصورهم ، أم رضي عنهم لعقيدتهم ومنهاجهم وأخلاقهم وأعمالهم ؟!

وإذن ... لا يرضى اللَّه إلّا عمن تشبَّه بهم واقتدى بفعالِهم ، وهذا هو معنى قوله تعالى : ﴿ **اتَّبعوهم بإحسانٍ** ﴾ [التوبة:١٠٠] .

قال ابن كثير عند هذه الآية :

« فيا ويل من أبغضهم أو سبّهم أو أبغض أو سبّ بعضهم ... فإنَّ الطائفة المخذولة من الرافضة يعادون أفضل الصحابة ، ويسبّونهم ... عياذاً باللَّه من ذلك ... وأما أهل السنة فيسبُّون من سبَّ اللَّه ورسوله ... وهم متبعون لا مبتدعون ، ويقتدون ولا يبتدعون ، وهؤلاء هم حزب اللَّه المفلحون »

« مسكين يا ابن كثير ... أتريد أن تفرق بين المسلمين »[1] ؟

ثم ... تقول هذا في زمانك ؛ زمان أهل السنة ... فكيف لو رأيت أهل زماننا، أهل دعوى توحيد أمة الإسلام ، ولو على حساب العقيدة والإيمان ؟؟ وهم لا يعلمون علماً ، ولا يهتدون سبيلاً.

فهل الذين قالوا : « مذهب السلف أسلم ، ومذهبنا أعلم وأحكم » اتبعوهم بإحسان ؟

وهل الذين ابتدعوا طرقاً للوصول للحكم ، أو طرقاً أخرى للحكم نفسه غير طريقهم ... اتبعوهم بإحسان ؟

---

(١) ما كان بين قوسين فهو من حكاية كلام الغير ! وناقل الكفر ليس بكافر ، والقرآن الكريم والسنَّة النبوية فيهما من ذلك الكثير وهو أُسلوب معروف في اللغة العربية لا يُدرِكُه كثيرٌ من الناس وبخاصَّة أَصحاب الأغراض قال تعالى : ﴿ **قُل لا تسألون عمَّا أجرمنا** ﴾ [سبأ : ٢٥] فمتى أجرم الأنبياء حتى يُقال هذا !! ولكنه من باب الفَرَضِ والتنزُّل وسيمر معك من هذا كثير .. فكُنْ على ذِكر من ذلك

وهل الذين أحدثوا آراء في الدين ، لم يعرفها أصحاب رسول اللّه ﷺ .. اتبعوهم بإحسان ؟

وهل الذين يعالجون قضايا الأمة بغير معالجة أصحاب رسول اللّه ﷺ .. اتبعوهم بإحسان ؟

وهل هم بهذه المخالفات - التي يسمّونها اجتهادات - يتبعون سبيل المؤمنين - الصحابة - الذي أوجبه اللّه على الناس جميعاً ؟ أم يتبعون سبيل أعدائهم ....؟!

○ **الثاني : قال تعالى : ﴿ ومَن يُشاقِق الرَّسول من بعد ما تبيَّن له الهدى ويتَّبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً ﴾** [النساء:١١٥] .

وإذا كانت الآية السابقة - ﴿ اتَّبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ... ﴾ - زكّت المتبعين للصحابة ، وأنهم من الناجين يوم القيامة ، فإنَّ هذه الآية ذمَّت المخالفين لسبيل الصحابة ، وحكمت عليهم بالضلال في الدنيا ، والعذاب الأليم يوم القيامة

«ما الدليل على أنَّ المقصود بالمؤمنين في هذه الآية هم الصحابة .. ؟»

لا شك أنَّ الآية لما نزلت لم يكن على سطح المعمورة - يومئذ - غير الصحابة مؤمنون ... وبَدَهِيٌّ - إذن - أن يكونوا هم المعنيين في الآية ... وإن لم يكونوا هم المعنيين بها ... أفالمعنيُّون بها هم اليهود والنصارى ؟!

وعلى هذا : فَـ « لام » « المؤمنين » : للعهد لا للاستغراق ، إلّا عند من أبدل لام عقله ميماً ، فصار عقيم الفهم ، بليد الذهن

قال شيخ الإسلام في تفسيره للآية :

« إنّها تدل على وجوب اتباع سبيل المؤمنين وتحريم اتباع سبيل غيرهم ، ومن شاقّه - أي الرسول - فقد اتبع غير سبيلهم ، وهذا ظاهرٌ ، ومن اتبع غير سبيلهم ، فقد شاقه أيضاً ...

فإذا قيل : هي إنما ذمته مع مشاقة الرسول ، قلنا : لأنهما متلازمان ... فالمخالف لهم - أي للصحابة - مخالف للرسول ﷺ »[1].

فهل من سبيلهم .. الاستهزاء بمن تبعهم ...

وهل من سبيلهم ..؟ أن يتزعمهم رجل ليس عنده علم شرعي ولا يستفتي أهل الرسوخ ... أم من سبيل غيرهم ؟

وهل من سبيلهم .. القول بإباحة الطرق ... أي طريقة كانت ... أم هو من سبيل غيرهم ؟

وهل من سبيلهم ..؟ التحزب في الإسلام ... على طريقة العلمانيين والشيوعيين في التنظيم والتخطيط والحركة ... أم هو من سبيل غيرهم ؟

وهل من سبيلهم ..؟ التدبر والتمعُّن في القول ، ثمَّ اتباعه إن كان حقاً ، ولو خالف ما كان عليه المرء والحزب ... أم رده لمجرد مخالفة هذا القول لحزبه أو هواه ؟

وهل من سبيلهم .. النظر إلى القول ... أم النظر إلى قائله ؟ - مع تفصيل معروف في كتب السنة -

---

(١) « الفتاوي (١٩/١٩٣) .

وهل من سبيلهم أن نقول : نحن ملزمون بسبيلهم إلاَّ سبيل الوصول الى الحكم ، وطريق الحكم نفسه ، فإنا نتبع في ذلك سبيل أعدائهم

الدليل الثالث : قوله تعالى :

﴿ وألزَمهُم كلمة التَّقوى وكانوا أحقَّ بها وأهلها ﴾ [الفتح:٢٦]

أي : ألزم اللَّه أصحاب رسول اللَّه ﷺ كلمة التوحيد : شهادة أن لا إله إلّا اللَّه ، وكانوا أجدر الناس بها ، وأهلاً لذلك الحمل ، ولم يكونوا كبني إسرائيل .. **﴿ كمثلِ الحمارِ يحملُ أسفاراً ﴾** ، **﴿ وقالوا سمعنا وعَصينا ﴾** بل إنهم قالوا : **﴿ سمعنا وأطعنا ﴾**

ثم إن هذه الأحقيّة والأهلية - التي زُكّوا من أجلها - إنما كانت لفهم هذه الكلمة - كلمة التوحيد - وفهم مقتضاها ، والعمل بلوازمها ، وتجنُّب نواقضها ، فكيف يقول قوم في حق هؤلاء الصحابة ما يقولون ؟! إنَّ لسان حال كثير من الناس في عصرنا يقول : « وكنا أحق بها وأهلها » ! « ونحن أفهم للتوحيد منهم » ! « ونحن أدرى بمصالح الإسلام منهم » ! « نحن أعلم بطريقة إقامة الإسلام منهم » !

والحقيقة أنَّ هذا شتمٌ لهم بلسان الحال الذي لا يقلُّ سوءاً عن شتمهم بلسان المقال

الأدلَّة من السنَّة :

أما ما ورد في السنة من الأدلة في هذا المقام فكثير جداً ، نقتصر منه على حديثين :

○ **الحديث الأول** : عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ، أنَّ النَّبي ﷺ قال :

« خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يتخلف من بعدهم خلف تسبق شهادة أحدهم يمينه ، ويمينه شهادته » (١)

وهذه الخيرية : ليست في جزء دون جزء ، وليست في أمر دون أمر ، بل هي عامةٌ شاملةٌ

فالصحابة رضوان الله عليهم خيرٌ ممن جاء بعدهم على الإطلاق ؛ في عقيدتهم، وإيمانهم ، وصلاتهم ، وجهادهم ، ودعوتهم ، وأصولهم ، وقواعدهم، وأخلاقهم

وهم أقوم الناس في طرق تمكينهم ، وعملهم بالسنة ، وموقفهم من البدع وأهلها ، وموقفهم من السياسة والحكام ... ومن زعم غير ذلك ، فقد كذّب الله ورسوله ﷺ ، ومن استثنى من ذلك جزءاً فعليه الدليل ، وأنى له ذلك !!

ولا شك أنَّ كثيراً من الناس يقرّون بذلك بلسان مقالهم ، ولكن لا يلتزمون به في أعمالهم وأفكارهم :

فهل تربية الناس على السياسة من سبيلهم ... ؟

وهل تعليق الناس بالأحداث - التي لا يقدّم موقفهم فيها شيئاً ولا يؤخر - .. من سبيلهم ... ؟

وهل إنكار ما كانوا عليه من أصول وقواعد ... إقرارٌ لهم بالخيرية التي شهد لهم بها رسول الله ﷺ ، وأبى بعضنا أن يشهد لهم بها ..من سبيلهم ..؟

---

(١) أخرجه البخاري (٣/١٥١) ، ومسلم (٤/١٩٦٣) وغيرهما

○ **الحديث الثاني** : عن العرباض بن سارية رضي اللَّه عنه قال :

« وعظنا رسول اللَّه موعظة بليغة ، ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب فقال رجل : يا رسول اللَّه : كأن هذه موعظة مودع فأوصنا ، قال : « أوصيكم بتقوى اللَّه ، والسمع والطاعة ، وإنْ عبداً حبشياً ، فإنَّه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديّين من بعدي ، تمسكوا بها وعَضُّوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ؛ فإنَّ كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » (١)

ذرفت : دمعت

وجلت : خافت

وإن عبداً حبشياً : وإن كان أميركم عبداً غير حر ، لا حسب له ولا نسب حبشياً : غير عربي ، إذ المهم القيام بأمر اللَّه ، والحكم به ، وليس المهم أن يكون عربياً ذا نسب وحسب

عَضُّوا عليها بالنواجذ : بالأضراس ، وهو كناية عن شدة التمسك والأخذ، وعدم الإهمال .

فإنَّه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً : تشخيص لمرض هذه الأُمَّة من طبيب صادق ، وخبير حاذق ﷺ

فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء : أي : لا دواء لهذا الاختلاف ، ولا سبيل للنجاة منه ، إلّا بالتمسك بالسنن وسبيل الصحابة رضوان اللَّه عليهم

---

(١) حديث صحيح أخرجه أبو داود (٤٦/٧) والترمذي (٢٦٧٦) وأحمد (١٢٦/٤) وغيرهم وصححه شيخنا في صحيح الجامع (٢٥٤٩)

فهل المسلمون - وبخاصة الدعاة المعاصرين - يدركون هذا ويعملون به ، أم أن كثيراً منهم هم السبب في هذا الخلاف ؛ لإعراضهم عن التمسك بما أرشد إليه النبي ﷺ من سنته وسنة خلفائه ، وإحداثهم في دين اللّه الأحداث .. باسم الفكر والرأي والمصلحة والظروف ، بما لم يأذن به اللّه ؟

ثم هل من سُنّته وسُنّة خلفائه ... تمييع العقيدة ... من أجل الظروف ، وعدم التصريح بها خوفاً من تفريق الأمة ؟

وهل من سُنّته وسُنّتهم .. مداهنة الطواغيت والظلمة ، وأهل البدع والفكر المنحرف ؟

وهل من سنته وسنتهم تربية الناس على السياسة قبل التوحيد ، وعلى مناهضة الأعداء قبل الأخلاق والإعداد ، وعلى الأحداث الجارية قبل التربية ؟

وهل من سنته وسنتهم ، الجري وراء الرجال والعاطفة ؟ أم التأصيل والتثبيت ، والتربية والأناة ، وتقديم الحق على الرجال ؟

وهل من سنته وسنتهم الاستهزاء بمن تمسك بالواجبات وفَعَل السنن ؟

اللهم إنك تعلم أننا ابتُلينا بدعاة وزعماء وقادة ، لا علم لهم بدينك ، ولا بسنة نبيك غير الحماسة والعاطفة ... بل ويعلمون عن فلسفة أعداء اللّه ، وسياستهم أكثر مما يعلمون عن كتابك ، وهدي رسولك ، وسيرة خلفائه الراشدين ، ونحن لا ندري نياتهم ، ولكن نتائج أعمالهم كانت خُسراً ، وعلى المسلمين وبالاً، فاهدهم وأصلح بالهم .

اللهم إن كثيراً من أتباعهم مخلصون ، ولإقامة شرعك راغبون ، ولكنهم

أخطأوا الطريق ، وانحرفوا عن الصراط ... فإن كلّمناهم ، كلمناهم بما لا يعرفون ، وإن نصحناهم .. لا يقبلون : فاهدنا اللّهم وإياهم صراطك المستقيم ، صراط نبيك وصحبه المكرمين

وفضلاً عن وضوح هذه النصوص من الآيات والأحاديث في وجوب التزام منهج الصحابة ، رضوان الله عليهم . فضلاً عن ذلك فقد تتابع العقلاء من هذه الأمة ، والفحول من الأئمة ، على الحث على منهجهم والتزامه ، وتضليل من خالفه وإليك بعض هذه القبسات :

عن ابن عمر رضي الله عنه قال : « من كان مستناً فليستن بمن قد مات ، أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا خير هذه الأمة ، أبرَّها قلوباً ، وأعمقَها علماً ، وأقلّها تكلفاً ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ **ونقل دينه** فتشبهوا بأخلاقهم **وطرائقهم** ، فهم أصحاب محمد ﷺ كانوا على الهدى المستقيم وربّ الكعبة»[1]

فتأمل قوله : « ونقل دينه » فهل نقل لنا الصحابة نصوص الكتاب والسنة بلا فهم ولا إدراك لمقاصدهما ... حتى نتطاول عليهم ونخالفهم

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله :

« ... فعليك بالسنة ، فإن السنّة إنما سنّها من قد عرف ما في خلافها من الخطأ والزلل والحمق والتعمق ، **فارض لنفسك بما رضي به القوم لأنفسهم** - فإنهم على علم وقفوا ، **وببصر نافذ قد كفّوا** ، وهم كانوا على كشف الأمور أقوى ... فقد تكلموا منه ما يكفي ، ووصفوا منه ما يشفي.. وإنهم بين ذلك -

(١) الحلية (١-٣٠٦)

أي بين المقصرين والغلاة - لعلى هدى مستقيم »[1]

فتأمل قوله : « فارض لنفسك بما رضي به القوم لأنفسهم »

يعني : ألا ترضى بعقيدة أبي بكر وعمر ... ألا ترضى بعلم أبي بكر وعمر ...ألا ترضى بمنهج أبي بكر وعمر ..

وتدبّر قوله : « وببصر نافذ قد كفّوا » أي : إنما كفّوا عن بحث كثير من المسائل عن علم وبصيرة ، لا عن جهل وغباوة ، فلا تبحث مالم يبحثوا من المسائل التي لا يترتّب عليها عقيدة أو عمل ، فتكون من الغلاة المتنطعين

« لكن هل هناك عقلاء بعد هذه النصوص والآثار ، يعرضون عن طريق الصحابة والسلف ...»

نعم ، هناك فرق قديمة ، وجماعات معاصرة ، معرضةٌ عن هدي الصحابة والسلف في العقيدة والمنهج والسلوك

« هذا غريب جداً ... لكن ما هي حجتهم »

« قبل أن نذكر حجتهم ، لابد أن تعلم أن حجتهم باطلة مهما كانت ومهما زُيّنت ... ومصيرهم الضلال في الدنيا ، والعذاب في الآخرة ، مهما حسنت نياتهم ، وبذلوا من جهدهم .. لأن حكم رسول الله ..« كلها في النار » لمن خالفهم لا يُرّد ولا يراجع ... وإذا ما قُبلت حجتهم .. فستُقبل حجة كل مخالف ... وحجتهم : المصلحة .. التزيين .. الظروف .....

---

(١) الاعتصام (١-٥٠)

زبدة هذه النصوص :

« قد أكثرتَ وأسهبتَ : فهل لك أن تخُضَّ لنا زبدة هذه النصوص وفحواها ؟ »

زبدة هذه النصوص نقطتان :

- اعتقاد ما اعتقد الصحابة ...وسلوك الطريق الذي سلكوا في الفهم والعلم ، والتربية والعبادة ، والخلق والأدب ، والدعوة والحكم ، وطريق الوصول إلى الحكم .

- الكف عن كل مسألة لم يبحثوها ، والإعراض عن كل طريق أعرضوا عنه ، ولم يعرفوه ، كالفلسفات والتجديدات ، والانتخابات والبرلمانات ، والانقلابات والسياسات ، والاغتيالات والاعتصامات ، والتفجيرات والمظاهرات

ويمكن إيجاز هذا كله بعبارة واحدة :

فَلْيَسَعْنا ما وسعهم .

فإن أردت السلامة ... فعضّ على هذه بالنواجذ ...

وإن شئت أن تقحم عقلك ، وتخالف هذا بما تزعم من مصلحة ودعوى ، وأن الوسائل مباحة ، وتخلط بين الوسائل المباحة ، والطرق الملزمة ، فسوف تلقى ما لقيت الطوائف من قبلك في الدنيا من الخزي والفشل ، وما عند اللّه أدهى وأَمَرُّ ، وما مرّ من أحداث فيه عبرةٌ للمعتبرين

وليعلم العاقل :.

أن الهدى في اتباع السلف ، ولو زُيّنت المصلحة في مخالفته ، وأن

الضلال في مخالفتهم ، ولو ظُنّت المفسدة في اتباعهم

ولو تأمّل المنصف الأحداث الماضية والمعاصرة ، وجد أن معظم الذين قاموا بالتغيير عن طريق المواجهة أو اتباع أساليب محدثة قد أركسوا لمخالفتهم منهج السلف في التغيير ، مسوغين مخالفتهم بمصالح رأوها ، أو مجيزين مخالفة سلفهم أصلاً

واعلم أن المتبع منهج السلف له عذر عند الله وإن أخطأ أو أخفق . وان المخالف لهم مردود العذر عند الله ، وإن ظن أنه أصاب أو أفلح

معالمُ وضوابطُ في العقيدةِ والمنهج

« بعد هذا الإسهاب والتفصيل ، هل لك أن تضع النقاط على الحروف ، بضوابط ملزمة ، ومعالم واضحة ؟! »

ممّا لا شك فيه أنَّ الإسلام عقيدة ، ومنهاج ، وشريعة ، وأخلاق ، وأنَّ الخلاف واقعٌ بين طوائف الإسلام في هذه جميعاً ، ونحن وإن قلنا بهذا التقسيم ، فهو تقسيمٌ اصطلاحيٌّ ، ليسهل على شبابنا تفهُّمه ، وإلّا فقضايا العقيدة والمنهاج والشريعة والأخلاق ، قضايا مترابطة ومتداخلة ومتلازمة ، وبينها عموم وخصوص ، فالمنهج من العقيدة ، والشريعة والأخلاق كذلك ، لكن لا مشاحّة في الاصطلاح - إن لم يُخالف حُكم الشرع - كما فعل سلفنا في تقسيم الإسلام إلى عقيدة ، وعبادات ، ومعاملات ، وتقسيم الأحكام إلى شروط وواجبات ومندوبات ... إلى غير ذلك من التقسيمات التي تُسهّل للمتعلم الفهم وتيسر له الحفظ

ضابط العقيدة :

أما ضابط العقيدة والعاصم من الزلل فيها : فقوله تعالى : ﴿ **فإن آمَنوا بمثلِ ما آمَنتُم به فَقَد اهتَدوا وإن تَوَلَّوا فإنَّما هم في شقاق** ﴾ [البقرة:١٣٧] .

أي : فإن آمن الناس من يهود ونصارى وغيرهم ، بمثل ما آمن به أصحاب النَّبي ﷺ ؛ فقد أصابوا الطريق ، واهتدوا إلى المحجة

وإن تولَّوا عن الإيمان بمثل ما آمن به الصحابة رضوان اللَّه عليهم ، فسوف يقعون في حمأة الخلاف ، ويسقطون في أتون التفرق والشقاق

ولحِكمةٍ عظيمةٍ لم يقل اللَّه تعالى : فإن آمنوا بمثل ما آمنتَ به ... وإنما كان بصيغة الجمع « آمنتم » وذلك إشارة إلى صحة إيمان الصحابة رضوان اللَّه عليهم ، وأنهم الحَكَمُ الفَصْلُ في هذه القضية الهامة

فهذا هو ضابط الإيمانيات والتوحيد والغيبيات وغير ذلك :

وهو الإيمانُ بمثل ما آمن به أصحاب النبي ﷺ ، والكفُّ عما كفوا ، والإعراضُ عما أعرضوا ، وتركُ البحث في قضايا ومسائل تركوا البحث فيها .

مثالٌ على ذلك :

أنَّ الصحابة رضوان اللَّه عليهم ومن تبعهم بإحسان أمرُّوا آيات الصفات ، من غير تحريف ، أو ما يسمِّيه (بعضُ) الناس تأويلاً !

فلو أنَّ المسلمين ساروا على تلك الطريقة ، لما كان بينهم من الخصومات ما كانَ ، ولما كان ضياع تلك الأوقات ، والانشغال عن الدعوة والجهاد .

وضابط هذا : أن لا يُتكلم في أمر لم يتكلم فيه أصحاب رسول اللَّه ﷺ ولا يُجاب عن سؤال مبتدع ، لأن الإجابة ستؤدي إلى مناقشة ، والمناقشة ستجرُّ إلى ردٍّ .. وهكذا يقع المسلمون في القيل والقال .. ولو أنهم اتَّبعوا سبيل الصحابة ، لما كان ما كان ، ولتوحَّدت الأمة دون عناء

المنهاج تعريفه وضابطه وقضاياه

اعلم أن المنهاج قسم من أقسام الدين ، وهو محوره الذي يجب السير عليه ؛ قال تعالى : ﴿ **لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا** ﴾ [المائدة - ٤٨]

وقال ﷺ في حديث حذيفة : « ثم تكون خلافة على منهاج النبوة »[1] فدل هذان النصّان على أن المنهج قسم من أقسام الدين ، وعلى احتمال وقوع الضلال بمخالفته ، مع بقاء المرء مسلماً

والمنهاج هو : الطريق والسبيل الذي تسير عليه الجماعة المسلمة لتحقيق أمر العقيدة في القلب ، وإقامة شرع اللَّه في الأرض

والذي يظهر أنَّه لن يمرَّ كبير وقت على هذه : الصحوة إلّا ويعتقد معظمها عقيدة السلف ، إن شاء اللَّه تعالى

وإنما سيكون محور الخلاف بين الجماعات الإسلامية يدور حول قضايا المنهاج ، والله أعلم

من قضايا المنهاج :

○ كفُّ الأيدي في مكة في حالة الضعف ، وبسط الأيدي في المدينة ، أي : في حالة القوة والتمكين : قضيةٌ منهجيةٌ ..

○ الصبر على قتل ياسر وسميّة في مكة ، وقتل العُرَنيِّين في المدينة ، ورض رأس اليهودي فيها لقتله امرأة : قضية منهجية ..

١- أخرجه أحمد (٤/٢٧٣) - وصححه شيخنا في الصحيحة (٥)

وقوله تعالى : ﴿ **قل يا أيها الكافرون ...** ﴾ إلى قوله : ﴿ **... لكم دينكم ولي دين** ﴾ [الكافرون] . وقوله ﴿ **قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر** ﴾ [التوبة:٢٩] قضية منهجية .. أي : ليست إحدى الآيتين بقاضية على الأخرى ، ولا ناسخة لها أبداً ، ولكن تارة يُعمل بهذه ، وتارة يُعمل بهذه ، وذلك حسب الظروف والأحوال والاستطاعة

○ وكذلك قضية المؤلَّفة قلوبهم : قضية منهجية ، فقد منع عمر رضي الله عنه إعطاءهم من الزكاة ، لأنه رأى أنَّ الحال التي عليها المسلمون تُمكِّنُهم من دفع أذاهم ، والأمن من غائلتهم

ومن قضايا المنهاج الرئيسية :

○ أحكام الخروج على الحكام ؛ أنواع المجتمعات وأحكامها ، الطريق إلى إقامة الدولة الإسلامية ، والوسائل والطرق ... إلى غير ذلك من القضايا

ضابطه :

قد اختلف أهلُ زماننا اختلافاً كبيراً وكثيراً في قضايا المنهاج ، وظن كثير منهم أنَّه غير توقيفي ، وخلطوا بينه وبين الوسائل المباحة من سيارة ومكبر صوت ، والصواب الذي لا ريب فيه أنَّه توقيفيٌّ كالعقيدة ؛ للأدلة التالية :

الأول - قوله تعالى : ﴿ **ومن يشاقق الرَّسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نولّه ما تولّى ونُصْلِهِ جهنّم وساءَت مصيراً** ﴾ [النساء:١١٥] .

وقد مرَّت الآية من قبل : ومن المفيد أَنْ نقف معها بعض الوقفات :

فقوله تعالى : ﴿ **ويتبع غير سبيل المؤمنين** ﴾ صريحٌ في وجوب اتباع طريقهم ، ولو كان طويلاً شاقاً ، وخيَّل الشيطان بُعده ، وأيأس من الوصول إلى غايته ، وصريح أيضاً ، في حرمة اتباع غير سبيلهم ، ولو رأيناه ميسوراً ، قريب المنال ، سهل المرام ، وخيَّل إلينا الشيطان قربه ، وأمَّل بالوصول إليه ، فالعبرة **بالاقتداء والاتباع ، لا بالوصول والإسراع**

وفي الآية أيضاً ؛ وعيدٌ من اللَّه سبحانه لمن خرج عن طريق المؤمنين ، وسلك غير سبيلهم ، أن يتخلّى اللَّه عنه في الدنيا ، وأَن يعذبه عذاباً أليماً في الآخرة

ومعنى : ﴿ **نولِّه ما تولَّى** ﴾ أي : لا يكون اللَّه له ولياً ، ولا ناصراً ، ولا معيناً ، ولكن يجعل اللَّه وليّه الأمر الذي سلكه ، وخالف فيه سبيلَ المؤمنين ، وبعبارة أخرى : يجعل ناصره ومعينه نفس الأمر الذي تبنّاه ، فإذا أعرض عن سبيل المؤمنين - الذي هو الدعوة قبل التمكين - والدعوة والجهاد بعد التمكين ، إلى أمور محدثة ؛ كالانتخابات والاغتيالات التي ليست من سبيل المؤمنين في شيء ، بل هي من سبيل غيرهم ، إذا فعل العبد ذلك - تخلَّى اللَّه عن نصرته ، وجعل اللَّه الانتخابات والاغتيالات - مثلاً - هي مولاه وناصرته ، فليتفطن إلى هذا المعنى الدقيق ، وإلى خطورة الخروج عن منهج المؤمنين .

ولعل هذا هو سرُّ عدم انتصار تلك الدعوات التي خالفت منهجهم ، وعدلت عن طريقهم

وإذا قدّر اللَّه انتصاراً لبعضهم ، فليس فيه دليلٌ على صحة منهج المنتصرين ، إذ قد يكون انتصاراً تفضُّلياً لا استحقاقياً ، أو قد يكون غلبة كونيّة لا شرعيّة ، فليس كل من انتصر كان على الحق ، ولا حجة بالنتائج ، ولا فيمن خالف ، ولا بفعل زيد أو عمرو ، وُفّق أم لم يوفق ! وإنما الحجة بما أمر به اللَّه تعالى ، وبما سنه رسوله ﷺ

الضابط الثاني للمنهاج : قوله تعالى :

﴿ قُل هَذِه سبيلي أَدعو إلى اللَّه على بصيرة أَنا ومن اتبعني .. ﴾ ، والصحابة ممن اتبعه ﷺ ، ومخالفتهم تعني الخروج عن سبيله ﷺ

هل من منهج الصحابة ؟

هل من منهجهم : الغاية تبرر الوسيلة ؟! أم هو من منهج عُبّاد الهوى ؟!!

وهل من منهجهم : تقديم المصالح الخاصة أو العامة على النصوص ؟! أم هو من منهج المنافقين ؟!!

وهل من منهجهم : إباحة المحظورات ، وترك الواجبات ، وهجر المسنونات بدعوى مصلحة الدعوة .. ؟! إئتونا بأثارة علم من هذا ؛ إن كنتم تعلمون ...

وهل من منهجهم : جمّع ... جمّع ... دون علم ولا تربية ؟!

وهل من منهجهم : التحزُّبات وتكثير الأتباع من غير ضبط ولا أخلاق ؟!

من حكمة اللَّه ورحمته وجود الطائفة المنصورة :

بهذه الضوابط التي ذُكرت .. وبغيرها من الضوابط ، والأسس ، والأصول والقواعد - التي ستذكر في هذا الكتاب وفي غيره إن شاء اللَّه تعالى - تُعرف الطائفة المنصورة ... وإذا عُرفت الطائفة المنصورة ، كان ما عداها غير منصور ولا ناجٍ ، وذلك بدليل قوله ﷺ الذي مرَّ معنا ..

ومن حكمة اللَّه تعالى اللطيفة ، ورحمته العظيمة : أنَّه لما علم أن سيكون في هذه الأمة خلافات ، جعل لهم قاضياً وحَكَماً ، ينهي خلافاتهم ، ويقضي على تفرقهم ، أَلَا وهو أصحاب رسول اللَّه ﷺ ، كما جعل الإسلام - من قبل - حكماً وقاضياً ومهيمناً على الأديان كافة

ثم ها هنا أمرٌ دقيق ، ينبغي أن يدركه كل لبيب وهو : إن لم نحكّمهم في خلافاتنا - وهم حواريُّو رسول اللَّه ﷺ ، وقد نزل القرآن بلغتهم ، ورأوا سيرة رسول اللَّه ﷺ بأم أعينهم ، وزكاهم اللَّه في كتابه ورضي عنهم - ... إن لم نحكّم هؤلاء في خلافاتنا .. فمن نحكّم ؟!!

أليس فينا رجل رشيد ؟!!

خلاصة أصل الأصول :

مما سبق يتبين :

أن أصل الأصول في دين الإسلام - بعد الكتاب والسنة - هو التزام منهج الصحابة ومن تبعهم بإحسان ، في الفهم والسلوك

وبهذا ؛ يضبط الفهم ، ويزول كثير من الخلاف ، فتتوحد الأمة ، وتنجو

من التفرق الذي هو بليّة البليات ، وسبب الفشل والنكبات ، وعندئذ يزول سبب ضعفها فتقوى وتتمكن في الأرض

وإن أصل الضلال وسبب الانحراف في هذه الأمة مخالفة منهج السلف ، والعدول عن طريقهم ، فيختلف الفهم ، فتختلف الأمّة ، فتضعف ، وتتهاوى ، فيتكالب عليها

وعلى العاقل أن يتنبّه إلى أمرين :

الأوّل : من أرادَ لنفسه الهداية والنجاة ..هل يسلك طريقاً جديداً مجهولاً !! لم يسلكه أتباع رسول اللّه ﷺ بل اخترعه أعداؤه ﷺ !؟

أم يسلك طريقاً مأموناً قد سلكته أمةٌ من قبله ... وأفلحوا في دنياهم ، ونجوا في أخراهم

الثاني : ما من فئة ولا طائفة عدلت عن طريقهم ، وانحرفت عن منهجهم إلّا ضلَّ أَتباعها ، وهلك أهلها ... وإن بقيت لهم باقية ، فإنما بقاؤها للاعتبار والفتنة ، والاستدراج والنقمة

فتعال معي - إذن - لنتعرّف إلى الصراط المستقيم ، صراط الذين ندعو اللّه عزَّ وجلَّ في كل صلاة أن يهدينا سبيلهم : ﴿ **اهدِنا الصِّراطَ المُستقيم صِراطَ الَّذينَ أنعَمتَ عليهم** ﴾ ، وإن لم يكن اللّه سبحانه قد أنعمَ على الصحابة ... فلم ينعم على أحد قط

تعال لنتعرّف إلى أصولهم ، ونتعلم قواعدهم ، ونتلمّس طريقهم ... فهي - واللّه - بحقٍّ قواعدُ النجاة ، وطريق الفائزين ، وحَكَم المختلفين ، وسبيل الخلاص من تفرق المسلمين ، وطريق وحدة صفوفهم ، وجمع كلمتهم ..

وبغير هذا ؛ فلن يكون لهذه الأمة مكانةٌ ، ولا علوٌّ في الأرض ولا تمكينٌ

وإلى اللَّه ترجع الأمور

« ولن يصلح آخر هذه الأمة إلّا بما صلح به أولها »[1].

وصلاحُ هذه الأُمةِ يَكْمُنُ بِتحصيلِ أُصولِ منهجِ الطائفةِ المنصورةِ ، الَّتي هي - في حقيقتها - قواعدُ النجاةِ ، وطرائقُ الصلاحِ والإصلاحِ

وهي أُصولٌ راسخةٌ منضبطةٌ ، قائمةٌ على الكتابِ ، ومبنيّةٌ على السُّنّةِ !

---

(١) من قول مالك ، ويأتي عَزْوُهُ

من أصول
منهج الطائفة المنصورة

من أُصول منهج السَّلَف :
الأصل الأوّل :

التمسُّك بالإسلام جميعاً

قال تعالى :

﴿ يا أيّها الذين آمنوا ادخُلوا في السّلم كافّة ﴾ [البقرة:٢٠٨]

قال ابن كثير رحمه اللّه تعالى :

« يقول اللّه تعالى آمراً عباده المؤمنين به ، والمصدقين ، أن يأخذوا بجميع عُرى الإسلام وشرائعه ، والعمل بجميع أوامره ، وترك جميع زواجره ما استطاعوا من ذلك

قال مجاهد : اعملوا بجميع الأعمال ، ووجوه البرّ

وقال ابن عباس : ولا تَدَعُوا منها شيئاً ... »

وقال شيخ الإسلام رحمه اللّه :

« والمقصود : أن اللّه أمر بالدخول في جميع الإسلام ، فكلُّ ما كان من الإسلام وجب الدخول فيه ، فإن كان واجباً على الأعيان لزمه فعله (أي فرض عين) وإن كان واجباً على الكفاية ، اعتقد وجوبه ، وعزم عليه إذا تعيّن ، أو أخذ بالفضل ففعله ، وإن كان مستحباً ، اعتقد حُسنه ، وأحب فعله »[1]

(١) « الفتاوى (٢٦٧/٧)

وقال سيد قطب رحمه اللَّه تعالى في ظلال هذه الآية :

« ولمّا دعا اللَّه الذين آمنوا أن يدخلوا في السلم كافة ، حذّرهم أن يتّبعوا خطوات الشيطان ، فإنَّه ليس هناك إلّا اتجاهان : إما الدخول في السلم كافة ... وإما اتباع خطوات الشيطان ... إما هدى وإما ضلال ، وبمثل هذا الحسم ينبغي أن يدرك المسلم موقفه ، فلا يتلجلج ولا يتردد ، ولا يتحير بين شتى السبل ، وشتى الاتجاهات ، إنه ليس هناك مناهج متعددة ، للمؤمن أن يختار واحداً منها أو يخلط واحداً منها بواحد ... ليس هناك حلٌّ وسطٌ ، ولا منهج بَيْنَ بَيْنَ ، ولا خطة نصفها من هنا ونصفها من هناك ! »

قلت : فكل ما أمر اللَّه به ، أو رسوله ، أو حثَّ عليه فهو طاعة ، سواء أَكان المأمور به صغيراً في نظر المأمور ، أو كبيراً ، وسواءٌ أَكان أصلاً- في نظر المطيع - أو فرعاً ، كلّاً أو جزءاً ، فكل ذلك من الإيمان

قال ﷺ : « الإيمان بضع وسبعون شعبة ... »[1] الحديث .

فالواجب - إذن - العمل بجميع شرائع الإسلام ، وأركانه ، وفرائضه ، وسننه لمن أحب ، ولا يجوز أن نترك العمل بهذه لأنها جزئية ، ونعمل بهذه لأنها كلية ...

وبعبارة أخرى : إنَّ العمل بشرائع الإسلام مَنُوطٌ (معلّق) بالاستطاعة ، وليس منوطاً بالكليات والجزئيات،والفروع والأصول؛ -إن سلم بهذا التقسيم -.

قال تعالى : ﴿ **فاتَّقوا اللهَ ما استَطعتُم** ﴾ [التغابن:١٦] .

---

(١) البخاري (١/٤٨) « ومسلم » (١/٦٣) وغيره

وقال ﷺ : « ما نهيتكم عنه فاجتنبوه ، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم »[1]

وهذا التفريق المزعوم ، غير معروف في الكتاب والسنة من حيث العمل وتركه ، لا من حيث وجوده وعدمه .

وإنه يُخشى على الذين يصرُّون على هذا التفريق ، ويدعون إليه ، أن يكونوا ممن عناهم اللَّه تعالى بقوله : ﴿ **أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاءُ من يفعل ذلك منكم إلّا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يُرَدّوُن إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون** ﴾ [البقرة:٨٥] .

فلم يفرّق اللَّه الدين من حيث العمل إلى جزء وكلّ ، وفرع وأصل !

وبعض الناس- هداهم الله - يُقَسِّم الدين إلى : لباب وقشور !!

وكيف يكون قشراً ؛ أمرا عدَّه رسول اللَّه ﷺ شُعْبَة من شعب الإيمان ؟.

وسمعت بعضهم يقول : إنَّ بعض الناس يتمسكون بذيل الإسلام !! ، وكأنَّ الإسلام دابة ، وله ذيل ، والعياذ باللَّه ممن يضرب لدين اللَّه مثل السوء ، وللَّه ولرسوله ولدينه المثل الأعلى

ورأى رجلٌ من (هؤلاء) شاباً متمسكاً بالواجبات والمندوباتِ ، فقال له : وأنت كذلك ابتليت بهذا ...!! .

---

(١) البخاري (١٤٣/٨) ، ومسلم(١٨٣٠/٤) وفي رواية : « فافعلوا منه ما استطعتم »

الدعوةُ إلى التفريق من سبل الصدّ :

ونصيحتنا لهؤلاء : إذا كانوا لا يعتقدون جدوى التمسك بالواجبات والسنن ، ولا يرغبون في العمل بها ، فعلى الأقل ، أن لا يصدوا الناس عنها ، حتى لا يكونوا - بفعلهم هذا - ممن عناهم اللَّه تعالى بقوله :

﴿ لم تصدُّون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجاً ﴾ [آل عمران:٩٩]

ولا شك أنَّ الواجبات والمندوبات من سبيل اللَّه ، ومن صدَّ عنها أو استهزأ بها ، فقد صدَّ واستهزأ بسبيل اللَّه ...

وقال تعالى عن الشيطان :

﴿ ويصدَّكم عن ذكر الله وعن الصَّلاة فهل أنتم منتهون ﴾ [المائدة:٩١]

ولا ريب أنَّ صدَّ الناس عن الواجبات والسنن صدٌّ عن ذكر اللَّه ، فهل إخواننا عن هذا منتهون ؟

ما ضابط هذا التفريق ؟

ثم مَن ذا الذي يجرؤ على هذا التقسيم ، ويضع لنا فاصلاً في كل أمر ، أهو جزئية أم كُلِّيَّةٌ .. قشر أم لباب !

واللَّه تعالى يقول :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ﴾ [الحجرات:١]

وإن لم يكن هذا التفريق من التقديم .. فما التقديم إذن ؟

ويبين ذلك قوله ﷺ :

« الإيمان بضع وسبعون شعبة ؛ أفضلها شهادة أن لا إله إلّا اللّه ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان » [1]

فتدبر هذا الحديث العظيم ... كيف جمع فيه ﷺ أعلى مراتب الإيمان مع الحياء ، ومع أدنى عمل من أعمال الإسلام ، دون تفريق مزعوم ، ولا تفصيل مشؤوم .

فأين يُمكن للمفرقين أن يحدُّوا حدَّهم ، ويقدِّموا تفريقهم ، ويضعوا فاصلهم في هذا الحديث العظيم

وانظر كيف عدَّ إماطة الأذى من الإيمان ، ولازم ذلك أنَّ فاعله يزداد إيماناً ، وتاركه ينقص إيماناً ... فكيف بمن ترك ما هو أعلى منه ؟! وكيف بمن هجر ما رُتِّب عليه أجر عظيم ؟! وكيف بمن توعد اللّه فاعله عذاباً أليماً ؟!

عن البراء بن عازب قال : « أمرنا رسول اللّه ﷺ بسبع ، ونهانا عن سبع ؛ أمرنا بعيادة المريض ، واتباع الجنازة ، وتشميت العاطس ، وإبرار القسم (أو المقسم) ونصر المظلوم ،وإجابة الداعي ، وإفشاء السلام ... » [2]

فانظر كيف جمع نبيُّ الهدى ﷺ بين تشميت العاطس ، ونصر المظلوم في حديث واحد ، دون هذا التفريق المبتدع ، ولا هذا التقسيم المصطنع !

---

(١) البخاري (٤٨/١) ، ومسلم (٦٣/١) واللفظ له

(٢) البخاري (٥١/٧) ، ومسلم (١٦٣٥/٣) .

من الصغائر والجزئيات ما يكون سبباً في دخول الجنة أو النار

إن كثيراً مما يراه الناس جزئيةً أو صغيرةً ، ربما يكون سبباً في دخول الجنة ، أو النار ، والعياذ بالله :

ففي « الصحيحين » مرفوعاً : « بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق فأخّره ، فشكر الله له ، فغفر له » (١)

وفي مسلم مرفوعاً : « أنَّ امرأة بغيّة سقت كلباً ، فغفر لها » (٢)

وقال ﷺ :

« لا تحقرنّ من المعروف شيئاً ، ولو أن تلقى أخاك بوجه طَلْق » (٣)

و« شيئاً » نكرةٌ في سياق النهي ، فهي تفيد العموم ، أي : أي شيء كان، صغيراً أو قليلاً ... وإخواننا لا يزالون يصرون على احتقار بعض ما أمر به الرسول ﷺ ، أو حث عليه .. فَمَن أحق بالنبي ﷺ ؟

ومن أحق بالتمكين ؟

ومن أحق بشفاعته ﷺ ؟

---

(١) أحمد (٢/٢٨٦) ، والبخاري (١/١٥٩) ، ومسلم (٣/١٥٢١)

(٢) مسلم (٤/١٧٦١)

(٣) رواه مسلم (١٦/٢٧١/رقم ٢٦٢٦)

وقال ﷺ :

« دخلت امرأةٌ النار في هرة حبستها ؛ لا هي أطعمتها ، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض »[1]

وأكل رجل بشماله عند رسول الله ﷺ ، فقال ﷺ :

« كُلْ بيمينك ، قال : لا أستطيع ، فقال ﷺ : لا استطعت »[2]، فشلّت يده على الفور

وقال ﷺ :

« ما كان أسفل الكعبين من الإزار فهو في النار »[3]

أي : إذا جاوز الثوب الكعبين ، فصاحبه قد استحقّ عذاب النار بِقَدْرِ مُخالفتِه

وقال ﷺ :

« من اقتطع حق امرىء مسلم بيمينه ، فقد أوجب الله له النار ، وحرم عليه الجنة ، فقال له رجل : وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله ؟ قال : وإن قضيباً من أراك »[4]

والأراك : الشجر الذي يؤخذ منه السواك

وإذا كان وجوب النار وتحريم الجنة على من اغتصب سواكاً ! فكيف بمن استهزأ بسنة ، أو عاب من فعل واجباً ؟!

---

(١) مسلم (٤/٢٠٢٦)

(٢) مسلم (٣/١٥٩٩) ، وأحمد (٤٠/٤٦)

(٣) أحمد (٢/٤٩٨) ، وأبو داود (رقم ٤٠٩٣) ، وابن ماجه (٣٥٧٣) ، وصححه شيخنا في « الجامع »

(٤) مسلم (١/٢٢) ، وأحمد (٥/٢٦٠)

بل وصل الأمر إلى أن علق الرسول ﷺ أموراً عظيمة .. بأمور يراها كثير من إخواننا « جزئية » ، « تافهة » ، « ليس الآن وقتها » ففي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « لتقيمنّ صفوفكم أو ليخالفن اللّه بين قلوبكم »

فأي داء أعظم من داء اختلاف القلوب .. الذي جُعِلَ سببه إهمال تسوية الصفوف

وفيهما أيضاً قوله ﷺ : « لا يزال الناس بخير ما عجّلوا الفطر » وفي رواية أبي داود بسند صحيح : « لا يزال الدين ظاهراً ما عجّل الناس الفطر » فانظر كيف أناط الخيرية ، وعلق بقاء الدين ظاهراً ، بتعجيل الفطر .. الأمر الذي يراه كثير من إخواننا ، « توافه »

وقاعدة ذلك قوله تعالى :

﴿ فمَن يَعمل مِثقال ذرةٍ خيراً يَرَه ومَن يَعمل مِثقال ذرَّة شرّاً يَرَه ﴾ [الزلزلة:٧ ، ٨]

أي : فمن يعمل ما يكون بوزن النملة الصغيرة - بل أقلّ - من خير ، فسوف يلقى خيراً في الدنيا والآخرة ، ومن يعمل ما يكون بوزن النملة الصغيرة - بل أقلّ - من شر ، فسوف يلقى شراً في الدنيا والآخرة

وإذا علمت هذا ؛ وعلمت أننا لم نخلق إلّا لفعل الخير مهما صغر ، واجتناب الشر مهما دَقَّ ، وأنَّ الدين كله من عند اللّه ، كلياته وجزئياته - إن سلم بهذا التقسيم - إذا علمت هذا ؛ أدركت بطلان دعوى تجزئة الدين إلى كليات وجزئيات ، ولباب وقشور ، لأنها دعاوى ليس عليها بينات ، وتزيين ليس فيه حُجّةٌ ولا دليل !!

قال شيخ الإسلام :

« قالوا - أي أهل السنة - : والفرق بين مسائل الأصول والفروع ، إنما هو من أحوال أهل البدع ، وانتقل هذا القولُ إلى أقوام تكلموا بذلك في أصول الفقه ، ولم يعرفوا حقيقة هذا القول ولا غَوْرَهُ .

قالوا : والفرق[1] في ذلك بين مسائل الأصول والفروع ، كما أنَّه بدعة محدثة في الإسلام ، لم يدلَّ عليها كتاب ولا سنة ولا إجماع ، بل ولا قالها أحدٌ من السلف والأئمة ، فهي باطلةٌ عقلاً »[2]

---

(١) أي : ما وضعوه من قواعد للتفريق بين الأصول والفروع .

(٢) « مِنْهاج السُّنَّةِ » (٥/٨٧)

شبهات

الشبهة الأولى :

« إذا كنتم لا ترون هذا التفريق ، فهل يؤخذ الإسلام دفعة واحدة ... دعوةً وعملاً ؟

وهل نهتمُّ بأمور الدين كلها على سواء ؟

وهل التوحيد - كلمة لا إله إلّا اللّه - ، وإماطة الأذى عن الطريق سواء ؟

وهل من سيرة الرسول ﷺ ، الدعوةُ إلى الإسلام جملة ، بلا ترتيب ، ودفعة واحدة ، بلا تدريج ؟ »

نعم ، لا شك أنها كلها ليست سواء .. فقد يكون هناك بالجملة أصول وفروع ، وكليات وجزئيات ، وصغائر وكبائر ، قال تعالى :

﴿ إن تجتنبوا كبائر ما تُنْهَوْنَ عنه نكفّر عنكم سيئاتكم . ﴾ [النساء:١٣١]

وقال ﷺ :

« ألا أنبّئكم بأكبر الكبائر » (١)

وقال أيضاً : « اجتنبوا السبع الموبقات » (٢)

---

(١) مسلم (٩١/١)

(٢) البخاري (١٩٥/٣) ، ومسلم (٩٢/١)

ولكنّ هذا التقسيم الشرعيّ هو باعتبار منزلتها عند اللّه ، ومراتبها في الأجر ، ودرجتها في الفضل ، وما يترتب على فعلها وتركها من أجر أو وزر ، ومن حيث الأهَمُّ والمهمُّ ، ومن حيث التدرُّج في الدعوة والعمل ، لا من حيث التفريق والتبعيض ، والاستهزاء واللامبالاة ، وإهمال بعضها والعمل بالأخرى ، بمثل تلك الدعاوى ، رغم القدرة والاستطاعة !

قال ابن القيم طيب اللّه ثراه [1]:

« فإن نجا - أي العبد - منها- أي من عقبات الشيطان - بفقه في الأعمال ومراقبتها عند اللّه ومنازلها في الفضل ، ومعرفة مقاديرها ، والتمييز بين عاليها وسافلها [2]، ومفضولها وفاضلها ، ورئيسها ومرؤوسها ، وسيدها ومسودها ، فإنَّ في الأعمال والأقوال سيداً ومسوداً ، ورئيساً ومرؤوساً ، وذروة وما دونها »

ثم ذكر أدلة ذلك - ثم قال - : « ولا يقطع هذه العقبة إلّا **أهل الصدق من أولي العلم** ، السائرين على جادة التوفيق ، **قد أنزلوا الأعمال منازلها ، وأعطوا كل ذي حق حقه** »

فرق ما بين الإيمان بالشرائع والدعوة إليها :

كذلك ينبغي التنبُّه إلى أنَّ وجوب الإيمان بكافة شرائع الإسلام ، والأخذ بها كافة : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة** ﴾ [البقرة:٢٠٨] ، وأنها كلها من الإيمان : « الإيمان بضع وسبعون شعبة » ، .. شيء ؛ والسعي نحو

(١) « مدارج السالكين » (١/٢٢٥)

(٢) أي أدناها

تطبيق ذلك ، والعمل به ، والدعوة إليه .. شيء آخر

ففي حديث معاذ عندما أرسله رسول اللَّه ﷺ إلى اليمن ، قال له ﷺ :

« إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب ، فادْعُهم إلى شهادة أن لا إله إلّا اللَّه وأني رسول اللَّه ، فإنْ هم أطاعوا لذلك ، فأعلمهم أنَّ اللَّه افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فإنْ هم أطاعوا لذلك ، فَأَعْلِمْهم أنَّ اللَّه افترضَ عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فَتُرَدُّ في فقرائهم ، فإنْ هم أطاعوا لذلك ، فإياك وكرائم أموالهم ، واتّق دعوة المظلوم ، فإنَّه ليس بينها وبين اللَّه حجاب » [1].

فدل هذا على أنَّ في الدعوة والعمل تدرُّجاً وأولوياتٍ ، وتفاضلاً واهتمامات : فلا يبدأ بالدعوة والعمل ، بالجزء قبل الكل ... ولا يهمل الجزء بدعوى الاهتمام بالكل ، بل كلٌّ مُنَزَّلٌ من عند اللَّه ، وكلٌّ دينُ اللَّه ، فكما **أنه لا يجوز الإغراق في الجزئيات .. فكذلك لا يجوز إغراق الجزئيات ..!!**

﴿ والذينَ آمَنوا وعَمِلوا الصَّالحاتِ وآمَنوا بما نُزِّلَ على محمَّد وهو الحقُّ من ربِّهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم ﴾ [محمد:٢].

فقوله تعالى : **﴿ بما نُزِّل على محمد ﴾**، عامٌّ في كلِّ ما أمر به وأرشد

وقوله تعالى : **﴿ وهو الحق من ربهم ﴾** شاملٌ لكلِّ جزئية وكلية ، ولكلِّ فرع وأصل .. ومن رد جزءاً منها ، فقد ردّ حقاً

والناس في هذا .. طرفان ووسط :

طرفٌ يبدءون الدعوة بالجزئيات وبالمحرمات ، ويقولون : هذا حرام وهذا

---

(١) مسلم (١/٥٠) وغيره

مندوب ، قبل الدعوة إلى الأصول العظيمة ؛ كالتوحيد ، والسمع والطاعة ، والأخلاق ، وتصفية هذا الدين مما لحق به ، وتطهير قلوب المسلمين مما علق بها

وطرفٌ يفرقون في الدين ، فيؤمنون ببعض ويكفرون ببعض ، ويعملون ببعض ، ويُعرضون عن بعض ، ويستهزئون ببعض !! حسب الظروف ، وحسب الأهواء ، وحسب ما يظنونه مصالح

وفي كلا الطرفين غلوٌّ وتقصير !!

ومنهم من أشغلَ نفسَه بالخلافاتِ الفقهيّةِ والمسائل التفصيليّةِ ؛ ومنها خلافات معتبرة ، أو مسائل لا حاجةَ لنا بها .. أشغلَ نفسَه بها عن دعوةِ النَّاسِ وتربيتِهم ، بل ربّما كانت دعوتُه مُنْصبَّةً في هذا ! فهي شُغله الشاغلُ ، وديدنُه الدَّائمُ ، وسألَ أحدُهم فقالَ : إمامُنا ينزلُ في سجودِه على يديه ، ونحنُ ننزلُ على رُكبنا ، فَمَن صلاتُه صحيحةٌ ؟ وهل تصحُّ صلاتُنا خلفَه ؟

وهذا غايةٌ في العَجَبِ ، أن لا يعرفَ المسلمون فقه دينهم !

ومنهم من يدعو إلى اللّهِ ؛ وهو لا يعملُ بكثيرٍ من شرائعِ اللّهِ !!

يظن أن الدين قولٌ بلا عمل ، وفِكر بلا اتباع !!

والوسط الصواب ، البدء بالأَهم فالأهم في الدعوة والعمل ، وتربية الناشئة على التوحيد والتأصيل ، والتقعيد والأخلاق ، ثم ... ثم ... وهكذا ... حتى يتم العمل بشريعة الإسلام ، حسب القدرة والاستجابة ، كما هو واضح من حديث معاذ

الشبهة الثانية :

كيف نهتم بالجزئيّات والعدو على الأَبواب :

لكن إذا سَلّم الناس بالكليات ، وانتهوا عن الكبائر ، فهل نهتمُّ بالجزئيات وننشغل بالصغائر ، والأَعداء جاثمون على صدورنا .. ؟؟ » .

إذا تأمَّل العاقل هذه المسألة ، وجد أنها أقرب الى الخيال منها إلى الحقيقة ، وإلى الوهم منها إلى الواقعية ، إذ العمل بالسنن والواجبات ، لا يَشْغل عن العدو ، ولا يُؤَخّر التمكين ، لكن الذي يَشْغل عن العدو ، ويؤخّر التمكين ، هو عدم التزام منهج السلف في الدعوة والعمل والمناقشة والأخلاق ، هذا هو الذي يضيّع الأوقات ، ويشتّت الجهود ، وأما العمل بكافة الشريعة حسب الاستطاعة ، وحسب ما كان عليه رسول اللَّه ﷺ وصحبه ، فلا يعرقل البراء من الأعداء ، ولا يمنع الولاء للأحباب

بل على العكس من ذلك ، فإنَّ العمل بالسنن والواجبات يشدّه ويقوّيه ، وفعل شعبة من شعب الإيمان - أيّ شعبة - يزيد الإيمان ويقويه ، وزيادة الإيمان هذه زيادةٌ في قوة المسلمين في مواجهة أعدائهم من جهة ، وتقرب إلى اللَّه الذي بيده النصر والتمكين من جهة أخرى .

قال تعالى : ﴿ **وعد اللهُ الذينَ آمَنوا منكم وعَمِلوا الصَّالحات ليستخلفنَّهم في الأرض** ﴾ [النور:٥٥] ، فكلُّ فعلٍ عملٍ صالح ، يسرع في الاستخلاف ، وكلُّ تقصير يؤخره ، وكل عمل صالح هو مسمارٌ في نعش الطاغوت ، وكل معصية وإهمال في دين اللَّه هو تَثبيتٌ له على عرشه .

فتدبّر هذا ؛ فهو نافع لمن أراد لقاء ربه ، ونصرته على عدوه ، وتمكينه في أرضه

الحكَمُ الفصلُ

عندما يتأمل المنصف الذي يُحكِّم شرعه لا عقله ، وسلفه لا فكره ، ودينه لا رجاله ، ومنهج الاتباع والتأسي ، لا منهج السياسة والظروف ، يجدُ أن السلف - رضوان اللَّه عليهم - كانوا يتمسكون بالإسلام جميعه ، ويعملون بشريعته وأحكامه كافة ، من غير تفريق ولا تفريط ، فكانوا يجمعون بين العلم والعمل ، والجهاد والعبادة ، والدعوة والقيادة ، والواجب والمندوب ، والزهد والإعمار ، ومناصحة الحكام ، وعدم إهمال شيء من شريعة القرآن ، ولكن ؛ بتعاون مثمر ، وبترتيب معين ، وتدريج معتبر ، تحت ظل الشريعة وتعاليمها ، لا أن تكون الشريعة خاضعة للأحوال والظروف

فتدبر هذا فهو دقيق

صور من التعاون المثمر :

ففي الوقت الذي كان فيه أبو عبيدة بن الجراح وسعد بن أبي وقاص ، وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص يفتحون مصر والشام والعراق ، كان أبو بكر وعمر وعثمان وعلي يسوسون الناس ، ويرعون شئُونهم ، وكان معاذ بن جبل وابن عباس وابن عمر يُعَلِّمون الناس ، ويفتونهم ويُرَبُّونهم ، وكان أبو هريرة وأنس وعائشة يحفظون الحديث ويروونه ، وكان أبو ذر وأبو الدرداء يعظون

الناس والحكام وينصحونهم ، **فتعاونوا ولم يتعايبوا .. وتناصروا ولم يتدابروا .**

وفي الوقت الذي كان فيه محمد بن القاسم وموسى بن نصير وطارق بن زياد ، يفتحون البلاد شرقاً وغرباً ، كان أبو حنيفة ومالك والشافعي ، يفتحون صفحات من العلم والفقه ناصعةً إلى يوم القيامة ، وكان أحمد والبخاري ومسلم يفتحون صفحات من النور ، ليسطروا عليها مرويّاتِ سنة النبي ﷺ ، لتبقى ما بقي على الأرض إيمانٌ ، وكان الحسن البصري وسعيد بن المسيّب وسعيد بن جبير ، ينصحون الناس ويعظون الحكام ، وكان أحمد بن حنبل ، وأحمد بن نصر المروزي ، وإسحاق بن راهويه ، يقمعون البدع ، ويحاربون الانحراف ، وينفون عن هذا الدين ، تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين

وبعضهم كان يجمع بين هذا وذاك ؛ فأحمد يجمع بين الحديث والفقه وقمع البدع ومناصحة الحكام ، وعبدالله بن المبارك يجمع بين العلم والجهاد ، وكان ... وكان ... كلٌ حسب قدرته ، وكلٌ حسب توفيقه .

وهكذا كانوا رضوان الله عليهم ، كخلية النحل ، شعارهم :

نتعاون ... ولا نتخاصم ، نتناصح ... ولا نتفاضح ، نتناصر ... ولا نتخاذل ، نتطاوع .. ولا نتلاوم .

لا عيب في التخصص :

فما كان المجاهدون يعيبون على الفقهاء بحثَهم في قضايا تفصيلية فقهية ، في الحيض والبيع والنكاح ، وما كانوا يقولون لهم : نحن نجاهد ونفتح البلدان ، وأنتم عاكفون على الكتب الصفراء كتب الحيض والنفاس .. !!

وما كان الفقهاء يعيبون على المجاهدين عدمَ معرفتهم بتفاصيل الفقه ، وأغوار العلم ، وما كان أحدٌ منهم يعيب - فضلاً عن أن يتهم - الذين يهتمُّون بالعقيدة والسنن ويقمعون البدع ، وما كانوا يقولون لهم : نحن نجاهد ، ونفتح البلدان ونحارب الطغاة ، وأنتم مشغولون في « أين اللَّه ؟ ويد اللَّه ، ووجه اللَّه » .

ولكنهم جميعاً كانوا يعيبون على من لا يعرف التوحيد تفصيلاً ، ويشنعون على من لا يسمع ويطيع اللَّه ورسوله ﷺ دائماً

وكانوا جميعاً - رحمهم اللَّه تعالى - حرباً على أصحاب البدع والانحراف والأهواء ، وعلى من يُحْدِث في هذا الدين برأيه وهواه ، ومصلحته وفكره ، ما لم ينزّل الله به سلطاناً

شعارهم في هذا :

ديننا دين اختصاص وتعاون .. لا دين حقد وتنازع .

أما نحن ... فيا حسرة علينا .. فهذا يقول لصاحبه : اترك هذا الشيخ ، فهو فقيه وليس بمحدث !

وذاك يقول : دع عنك هذا العالم ، فهو محدث وليس بفقيه !

وثالث يقول لصاحبه : دع عنك هذا التعاون مع ذاك الداعية ، فهو ليس إلّا داعية ! ولو كانت دعوته صحيحة

وآخر يقول : اهجر هذا الفقيه ، فقد أخطأ في مسألة كذا

وآخر يقول ... ويقول ... ويقولُ ...

وهكذا ... يتعلّق الناس بالرجال ، ويُفقد التعاون ، وتنشأ الخلافات ، وتمزق الطائفة المنصورة ، فيكون الضياع والملل ، واليأس والفشل ..

ولو أنهم أدركوا ما كان عليه أصحاب النَّبي ﷺ لما كان ما كان ...

فما من أحد - بعد الأنبياء - جمع العلم كله ، ولا يمكن له ذلك ... وما من أحد أصاب الحق كله ولذلك أمر اللَّه بالتعاون و حثَّ على التَّشاور

وما من أحد بعد - الأنبياء - إلّا له وعليه ... ولذلك أمر اللَّه باتباع ما أُنزلَ إلينا ، وحث على معرفة الدليل والبرهان ، من أي مصدر نُقِل ، وعلى أي لسان جرى ، **ومَنَعَ أن يكون الرجال حجة في دينه ، وأن يكون الهوى دليلاً في شرعه**

﴿ اتَّبعوا ما أنزلَ إليكم من ربّكم ولا تتَّبعوا من دونه أولياء قليلاً ما تذكَّرون ﴾ [الأعراف:٣]

إنَّ هذا الذي يجري بين الشباب - فيما ذكرنا - إنَّما هو :

- **من سوء التربية**
- **وفقدان التأصيل**
- **وعدم التفريق بين الهوى والدليل ، والحجة والتزيين**

إنَّ هذا الذي يجري بين الشباب يحتاج إلى إعادة نظر من العقلاء ، لتصحيحه وتقويمه ... ولا يتمُّ هذا إلّا بالتجرُّد للَّه عزَّ وجل ، وتربية الناس على التأصيل واتباع الحق ... لا على العاطفة وحب الرجال .

ولو أنهم قالوا :

ما الدليل ؟ لكان خيراً لهم وأقوم سبيلاً.

فهل إلى رجوع إلى طريقهم من سبيل ؟

وهل إلى خروج مما نحن فيه من المخاصمات من مخرج ؟

وهل من عودة - يا عباد اللَّه ويا دعاة الإسلام ويا شباب الصحوة - إلى التربية والتأصيل ؟

حتّى ندركَ - حقّاً - ما معنى التعاون ، ونترجم ذلك في واقعنا .. ونفهم معنى التشاور ، ونعمل به في شئوننا .. ونعلم معنى التناصح ، ونتبادله فيما بيننا.

ألا أدلكم على ما أبطل ذلك كله ؟!

الحزبية اللعينة ... وتقديم الرجال على الدليل

ألا أرشدكم إلى ما يُحْيِي هذا كله !؟

ما قاله الإمام الشافعي :

« لو تدبَّر النَّاس هذه السورة لوسعتهم »[1] :

﴿ والعصر إنَّ الإنسانَ لَفي خُسر إلّا الَّذينَ آمَنوا وَعَمِلوا الصَّالحات وتَواصَوا بالحقِّ وتواصَوا بالصَّبر ﴾

فاللهم إنا نسألك العمل بها

وأخيراً :

إنَّ منهج السلف لا ينكر التدرُّج في التطبيق والعمل ، وأن بعض الأعمال أفضل من بعض وأولى ، ولكن ينكر أن يؤخذ ببعض ويترك بعض ، مع القدرة والاستطاعة .

وعلى الله قصد السبيل ، وإليه المآل والمصير .

---

(١) ابن كثير (٤ / ٥٨٥)

الأصل الثاني :

الدَّعوة إلى التَّوحيد أولا والعمل بالعبادات ثانياً مع التَّمسُّك بالأخلاق دائماً

إن من المسلّمات : أن البدء بالدعوة إلى التوحيد - أولاً وقبل كل شيء - هو سنة الأنبياء جميعاً ، ﴿ **وما أرسَلنا من قَبلكَ مِن رَسولٍ إلّا نوحي إليهِ أنَّهُ لا إلهَ إلّا أنا فاعبُدون** ﴾ [الأنبياء:٩٢] .

وأن لا إله إلّا اللّه ، هي : التوحيد ، كل التوحيد ، إذا فُهمت حقَّ فَهمها وعمل بمقتضاها

وقال تعالى : ﴿ **لقد أرسلنا نوحـــاً إلى قومهِ فقال يا قومِ اعبُدوا اللهَ ما لكُم من إلهٍ غيرُه** ﴾ [الأعراف:٥٩] .

وقال تعالى حاكياً عن خليله إبراهيم عليه السلام في بدء دعوته لأبيه :

﴿ **يا أبت لم تعبد ما لا يَسمعُ ولا يبصرُ ولا يُغني عنك شيئاً** ﴾ [مريم:٤٢].

وأول شيء دعا إليه يوسف عليه الصَّلاة والسَّلام صاحبيه في السجن التوحيد قال :

﴿ **يا صاحبي السجن أأربابٌ مُتفرّقونَ خيرٌ أم الله الواحدُ القهَّار** ﴾ [يوسف:٣٩]

فانظر - بارك اللّه فيك - إلى أول كلمة قالها لهم : ﴿ **أأربابٌ مُتفرّقون** ﴾ ، فلم يبدأ بدعوتهم إلى السنن والواجبات ، ولا إلى السياسة

والواقعات أولاً

ومن الغريب ؛ أن يتفطن الى ذلك الحيوان - هُدهُد سليمان - ويعلم أن التوحيد قبل كل شيء : ﴿ **وجَدْتُها وقومها يسجدون للشمس من دون اللَّه .. ألا يسجدوا للَّه ..** ﴾ [النمل : ٢٤] ولا يتفطن إلى ذلك كثير من الدعاة

وأما دعوة سيد الرسل عليهم الصلاة والسلام ؛ فمما لا تخفى على مسلم، وأنَّه مكث ﷺ في مكَّة ثلاثة عشر عاماً .. يدعو إلى التوحيد ، وفي التوحيد ، وللتوحيد ، وبالتوحيد ، مع ما كان عليه من خُلُق عظيم .. يدعو إليه بعمله أحياناً ، وبقوله حيناً .

ولما أرسل ﷺ معاذاً إلى اليمن قال له :

« إنَّك تأتي قوماً أهل كتاب فادْعُهم إلى شهادة أن لا إله إلّا اللَّه ، وأني رسول اللَّه ، فإن هم أطاعوا لذلك ، فَأَعْلِمْهم أنَّ اللَّه افترض عليهم خمس صلوات ... » الحديث [١]

وإذا كان التوحيد قبل الصلاة والزكاة ... أفلا يكون قبل السياسات والواقعات ؟!

وإذا تأمّلتَ هذا ، وتأمّلت حال الجماعات الإسلامية ، ودعوتها ، عرفت من هي الجماعةُ الأحقُّ بالطائفة المنصورة !

هل هي الجماعةُ التي تربي أتباعها على السياسة ، أم الجماعة التي تربي أصحابها على التوحيد ، وتغرس في نفوسهم التأصيل !؟

وهل هي الطائفة التي تربي أتباعها على الولاء للظلمة والخضوع للكفرة ؟!

---

(١) مسلم (١/٥٠).

أم هي الطائفة التي تربي أصحابها على الولاء والبراء لله ولرسوله وللمؤمنين **جميعاً** ،!؟

وهل هي الطائفة التي تدعو أتباعها إلى الجهاد ومقارعة الأَعداء ، قبل التربية والتوحيد ، وقبل تحقيق شروط الجهاد !؟ أم هي الطائفة التي تدعو الناس إلى التوحيد والتربية ، وتحقيق شروط الجهاد قبل إعلانه والدعوة إليه !؟

وهل هي الطائفة التي تبدأ دعوة الناس إلى السنن والواجبات ، والزهد والمندوبات وتهمل دعوتهم إلى التوحيد والعلم !؟

وهل هي الطائفة التي تفرق في دين اللَّه تعالى بغير سلطان أتاها فتجعل هذه كلية يعمل بها ، وهذه جزئية تهجر ؟!

وهل هي الطائفة التي تربي طلابها على العلم المجرد فحسب ؛ دون عمل ولا دعوة ... كالجامعات ، وبعض الزوايا ؟!

إذا علمت هذا ؛ علمت من هم أَهلُ الطائفة المنصورة ؟

« **السياسة قبل اللَّه أَكبر** »

وإن كنت أنسى ، فلا أنسى - إن شاء اللَّه تعالى - مناظرة جرت بيني وبين أحد زعماء إحدى الجماعات الإسلامية ، والتي بُهِتُّ فيها وخرجتُ منها مهزوماً !!

قلتُ له - بعد كلام كثير جرى بيننا - :

فما هو أول شيء تعلّمونه المرء إذا دخل حزبكم ؟

قال : السياسة

قلت : قبل التوحيد !

قال : قبل اللّه أكبر .

فارتجّ الحاضرون لكلمته هذه ، وقمتُ من فوري ، وخرجت وأصحابي ، ونحن لا ندري ما نقول ...

يقولون : هل نحن نهمل التوحيد ؟ :

ولا بدَّ - هنا - من الإجابةِ عن إشكالٍ يطرحُه (البعضُ) مِن هذه (الجماعاتِ) ؛ وهو قولُهم : هل ترون أنّا نُهمل التوحيد ؟

وهل ترون في صفوفنا كفاراً ؟

وهل قادتنا وأتباعنا مشركون ..؟ حتى تتهمونا أننا لا ندعو إلى التوحيد ، ولا نلتزم به ؟ أم تريدون التوحيد الذي تعرفون - توحيد الأسماء والصفات - الذي أشغلتم به الأمة ، وفرقتم به جمعها ، والذي لا ينفع ولا يغني من جهل ... ؟ هل تريدوننا أن ننشغل بالخلافات الجزئية ؟! « أين اللّه ؟ هل له وجه ؟ هل ينزل إلى السماء الدنيا ؟ » عن قضايا الأمة المصيرية ، هل تريدون أن تشغلونا بهذا والأمة يتكالب عليها القريب والبعيد !! والأمة تحترق .. وأنتم تمتحنون الناس بالجزئيات ، وتفرقونهم بالفروع !

إننا نريد أن نوحد الأمة ، إننا نريد أن نسقط الطواغيت ، وأنتم ما زلتم على الكتب الصفراء » !!

الدولة أَوَّلاً .. أَم أين اللّه :

قال لي : ما زلتم تمتحنون الناس ، وتفرقون المسلمين

قلت : بأيِّ شيء ؟

قال : بـ « أين اللَّه » ...

قلت : أليس هذا سؤالاً سأله سيدنا وحبيبنا وإمامنا وزعيمكم وزعيمنا - على تعبير بعض إخواننا - ومن أُمرنا باتباعه ؟

قال : باختصار ، أي شيء يضرنا في قيام الدولة الإسلامية ، إن كان اللَّه فوق أو تحت ، المهم قيام الدولة ... فَبُهِتُّ ... ثم قلت : وأي شئ يضرنا إن كان لله ولد أو ليس له ولد ، المهم قيام الدولة ، فبهتَ... وانصرفنا ...

وبعد فترة من الزمن لقيته ، فقلت له : لم تخبرني عن عقيدتك في العرش ، أهو في السماء أم في الأرض ؟

قال : بل في السماء

قلت : العرش خالق أم مخلوق ؟

قال غاضباً : سبحان اللَّه ! إنّي مسلم ، العرش مخلوق ...

قلت : هل الخالق فوق المخلوق ، أم المخلوق فوق الخالق ؟

فَبُهِتَ ... وانصرفَ ...

وحتى نجيب عن تلك التساؤلات نبين النقطة الثانية وهي :

ما هو التوحيد ؟

ليس التوحيد كلمة تُقال ، ولا شهادة - بلا معنى - تُرَدّد ، ولا عقيدة ساكنة في الصدر تُعتقد ، ولا عاطفة إيمانية تلتهب ، ولا جزئيات تبحث ، أو خلافات في الفروع تثار .

إنَّه الإيمان باللَّه وحدَه ، والخضوع له ، والتسليم بأخباره ، والعمل

بأحكامه ، وتحكيم شرعه ، والتصديق بأنبيائه ، والإيمان بصفاته وأفعاله التي أخبر بها في كتابه ، وعلى لسان رسوله ﷺ ، إثباتاً من غير تشبيه ، وتنزيهاً من غير تعطيل

وإنَّ الذين لا تعنيهم أسماء اللَّه وصفاته ... لم يفهموا التوحيد ، ولم يدركوا الإسلام ، ولم يتدبَّروا القرآن إذ ما من سورة بل ما من صفحة من كتاب الله ، إلا وفيها ذكر لأسماء الله وصفاته ، ودعوة للإيمان بها والعمل بمقتضاها .

صور من الكفر المنسي :

ألم يكفر النصارى ؛ لأنَّهم وصفوا اللَّه بما لم يصف به نفسه ، أو رسله ؟

ألم يكفر اليهود ؛ لأنَّهم وصفوا اللَّه بما لم يصف به نفسه أو رسله ؟

قال سيّد : « وكذلك حكى القرآن الكثير عن انحرافهم ، وسوء تصوّرهم للَّه سبحانه وشركهم ووثنيّتهم :

﴿ وقالت اليهود عُزير ابن الله ﴾ [التوبة: ٣٠]

وقالت اليهود : **﴿ يد الله مغلولة غُلَّت أيديهم ولعنوا بما قالوا ﴾** »[1].

فهذا حكم من اعتقد أنَّ للَّه يداً ولكنها مغلولة ... فما حكم الذين قالوا : « يد اللَّه معدومة » ؟!

أليس من كُفر قريش ، أن جعلوا له ما لم يجعل لنفسه سبحانه :

---

(١) « خصائص التصور الإسلامي »

﴿ ما جعلَ اللهُ من بَحِيرةٍ ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام [1] ولكن الـــذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون ﴾ [المائدة:١٠٣] ؟

فمن أظلم طريقاً :

آلذين جعلوا البحيرة والحامي ؟!

أم الذين جرَّدوا اللَّه من صفاته وأفعاله ، وجعلوه بلا وجه ولا يد ، ولا كلام ولا فعال ، بل جعله بعض الطوائف بلا سمع ولا بصر ، ولا حكمة ولا نظر ، فتعالى اللَّه عما يقولون علوّاً كبيراً ... ومع هذا كله نتمطّى ونقول :

هل هذه قضايا ... حتى تثار ؟

وهل هذه مسائل تستحق البحث والمناقشة ؟

ويا ترى !! هل إعلام الناس عن أخبار زوجة الحاكم الفلاني ... قضيةٌ تستحق الإثارة ... وهل سرقة الحاكم الفلاني .. قضيةٌ تستحق البحث ؟

وهل تقبيل الرئيس الفلاني لزوجة الرئيس الفلاني خبرٌ يستحق النشر ، بين

---

(١) البحيرة ، والسائبة ، والوصيلة ، والحام : ما كان من الأنعام ... وقد تنوّعت أقوال المفسرين فيها وخلاصتها أن كفار قريش جعلوا لهذه الأنعام أحكاماً خاصة بها ما أنزل اللَّه بها من سلطان :

فالبحيرة - عندهم - : التي لا يحلبها أحد من الناس

والسائبة : التي سُيّبت فلا يركبها أحد من الناس

والوصيلة : الناقة التي تلد الأنثى تلو الأنثى لا ذكر بينهما إلى عدد معين ، فيسيّبونها لطواغيتهم ...

والحامي : الفحل من الإبل الذي ضربَ ضراباً معدوداً فلا يحمل عليه شيء ؛ إكراماً لطواغيتهم ... راجع ابن كثير (١٠٧/٢)

المسلمين ؟ وهل هو أولى من تفسير قوله تعالى : ﴿ ويبقى وجه ربّك ذو الجلال والإكرام ﴾ [الرحمن:٢٧] .

وهل تسمية الكفار للملائكة بأسماء الأنثى قضية .. حتى يذكرها اللَّه في القرآن الكريم ؟ :

﴿ إنَّ الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى ... ﴾ [النجم:٢٧]

وهل ... وهل ... ؟!

وإن لم تكن صفات اللَّه سبحانه تستحقُّ الإيمان والذكر ، فلا بارك اللَّه في إيمان بعدها !

قال ﷺ :

« إنَّ للَّه تسعةً وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة » (١)

فما بال قوم يُعرضون عن أسماء اللَّه وصفاته سبحانه ؟! أَوَما علموا أنَّ الإعراض عن ذلك إعراض عن الجنة « ... من أحصاها دخل الجنة » ؟

التوحيد الخالص والنَّقي :

إنَّ التوحيدَ الخالصَ : هو فهم توحيد الربوبية واليقين به ، وإدراك توحيد الألوهية والتزامه ، والإيمان بصفات اللَّه على ما وصف وأخبر ، وعندئذ تعبد اللَّه كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنَّه يراك .

---

(١) البخاري (٣/١٨٥) ، ومسلم (٤/٢٠٦٢) وغيرها

إنَّ التوحيدَ النَّقيَّ هو : الالتزام بلوازم كلمة (لا إله إلّا اللّه) من حبٍّ لله تعالى ولشرعه وتحكيمه ، وحب لرسول اللّه ﷺ وهديه والسير عليه ، وحب لصحبه وأتباعهم والمؤمنين جميعاً ، ونصرة دينه والمؤمنين

والبراء من الشرك وأهله وكراهيتهم ، ومعاداتهم

وكما أنَّ للوضوء نواقض ، وللصلاة وللحج مبطلات ، فكذلك للتوحيد نواقض ، وإنَّ من نواقضه كراهية بعض ما نزل اللّه ، وبغض المؤمنين لإيمانهم وخذلانهم ، وولاء الكافرين ومناصرتهم وحب دينهم

﴿ ذلك بأنهم كَرهوا ما أنزَلَ الله فأحبط أعمالهم ﴾ [محمد:٨]

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتّخذوا عدوي وعدوكم أولياء تُلْقُون إليهم بالمودة ﴾ [الممتحنة:١]

﴿ ومن يتولّهم منكم فإنَّه منهم ﴾ [المائدة :٥١]

وذكر الإمام محمد بن عبدالوهاب التميمي رحمه اللّه تعالى في رسالته « نواقض الإسلام » :

« الناقض العاشر :

الإعراض عن دين اللّه لايتعلمه ولا يعمل به » ... ثم ذكر الأدلة على ذلك

واعلم أنَّ من مذهب السلف الصالح : أن الإيمان : يقين ، وقول ، وعمل ، ويزيد بالطاعات - أيّ طاعة - وينقص بالمعاصي - أيّ معصية - .

نقطتان مهمتان :

إننا نناشد إخواننا أن يعوا معنا نقطتين اثنتين :

الأولى : أن معظم المسلمين المعاصرين لا يفهمون معنى لا إله إلّا اللّه على حقيقتها ، بل معظمهم يفهمها على معنى توحيد الربوبية الذي أقرّ به المشركون :

قال تعالى : ﴿ **ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله** ﴾ [لقمان:٢٥] .

قال ابن القيم رحمه اللّه تعالى

« وليس التوحيد مجرد إقرار العبد بأنّه لا خالق إلّا اللّه ، وأنَّ اللّه ربّ كل شيء ومليكه ، كما كان عُبّاد الأصنام مقرين بذلك وهم مشركون ، بل التوحيد يتضمن - من محبَّة اللّه ، والخضوع له ، والذلّ له ، وكمال الانقياد لطاعته ، وإخلاص العبادة له ، وإرادة وجهه الاعلى بجميع الأقوال والأعمال ، والمنع ، والعطاء ، والحب ، والبغض - ما يحول بين صاحبه وبين الأسباب الداعية إلى المعاصي والإصرار عليها ، ومن عرف هذا عرف قول النّبي ﷺ : « إنَّ اللّه حرَّم على النّار من قال : لا إله إلّا اللّه ، يبتغي بذلك وجه اللّه » وقوله : « لا يدخل النار من قال : لا إله إلّا اللّه » [1]

وقال الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه اللّه :

---

(١) « مدارج السالكين » (١/٣٣٠)

والحديثُ في « الصحيحين » عن عتبان بن مالك .

« إنَّ مشركي زماننا أغلظ شركاً من الأولين ؛ لأنَّ الأوَّلين يشركون في الرخاء ، ويخلصون في الشدة ، ومشركو زماننا شركهم دائماً في الرخاء والشدة »[1].

الثانية : أنَّ مسلمي زماننا لو فهموا لا إله إلّا اللّه ؛ لا يعملون بمقتضاها

فإنَّ كفار قريش كانوا يفهمون معنى لا إله إلّا اللّه ، ويدركون مقتضاها ، ولذلك لم ينطقوا بها ، لأنهم يعلمون لوازمها ، ونواقضها

وأما معظم أهل زماننا ، فلا يعلمون معناها ، ولو علموا معناها ، لم يعلموا مقتضاها ولوازمها ، ولم يدركوا نواقضها ، وإنْ هم علموا مقتضاها ونواقضها لم يعملوا بها بل هم قائمون على مخالفتها ، لا يدينون بولاء ، ولا يعرفون براء ، يُباعون بالدرهم والدينار ، ويُشترون بالخبز والإسكان ..

« نحن اليوم نعيش في جاهلية كالجاهلية التي عاصرها الإسلام [2] أو أظلم ، كل ما حولنا جاهلية ؛ تصورات الناس ، وعقائدهم ، وعاداتهم ، وتقاليدهم ، وموارد ثقافتهم وفنونهم ، وآدابهم ، وشرائعهم ، وقوانينهم ، حتى الكثير مما نسميه ثقافةً إسلامية ومراجع إسلامية ، وفلسفة إسلامية ، وتفكيراً

---

(١) « الأصول الثلاثةُ وأدلتها . والقواعد الأربعة » (٥٦)

(٢) اعترض بعض الأفاضل على هذا التعبير ! والصواب أن يقال : إن عنى بالجاهلية التكفير فلا ... وإن عنى ما يعيشه المسلمون في واقعهم من أمور جاهلية فحق لا ريب فيه :
أفلا يرى العاقل واقع كثير من المسلمين ؟! أفلا ينظر المخلص الى سوق من أسواق المسلمين ؟! خمّارة ... فقمار ... فسفور ... فمراقص .. فدور لهو (سينما) ... فدور زنا ... فمصارف ربا .. فمعاهد تدرس الفجور .. فصحف تنشر الفساد ..فمحكمة تحكم بغير ما أنزل اللّه .. فمراقص باسم ذكر الله . فطرق بدعية ما أنزل الله بها من سلطان فضلاً عن الأحزاب العلمانية المصرح لها بتلك الشعارات التي تحارب بها اللّه ورسوله

=/=

إسلامياً ، هو كذلك من صنع الجاهلية » [1]

رحمه اللّه ما أصدقه من شاهد !

وإذا عُلم هذا من حال الناس ... فكيف يُنشأ بمثل هؤلاء مجتمعٌ إسلاميٌّ ؟ وكيف يقام بمثلهم دولة ؟ وكيف يُجاهَد بمثل هؤلاء ؟

أما آنَ لنا أن ندرك أن العاطفة الجياشة ،والحماسة الانفعالية المؤقتة ، لا تربي جيلاً ، ولا تؤتي ثمراً ، وبالتالي لا تُنْشِئُ مجتمعاً ، ولا تبني دولة !

=/= وتدعوا إلى تحكيم الطاغوت وكل ذلك جهاراً نهاراً ... بأوضح عبارة ، وأسهل طريق إلى المعاصي والفجور

وإذا نظر المسلم إلى شارع من شوارع المسلمين ، أو مدرسة بنات خرجن منها ، فماذا يرى غير السفور والتعري ؟؟ إلّا قليلاً قليلاً . ووصل ببعضهم التعري والديائة إلى حدّ لم يبلغه كفار قريش ، ناهيك عن النسبة الكبرى لتاركي الصلاة ، هاجري الزكاة ، منتهكي حرمة الصيام .. ، زد على ذلك ، شتم الله ورسوله ، والحلف بغير الله تعالى فجوراً في وضح النهار فضلاً عن عبادة القبور ، والتمائم الشركية ، والكهانة الكفريّة ، التي انتشرت في صفوف المسلمين .. فهل هذه جاهلية ... أم إسلام ؟؟ أليس هذا هو الأعم والغالب على أوضاع المسلمين .. إلا من رحم الله من بعض بلاد المسلمين .

ووالله إن لم تكن هذه هي الجاهلية - جاهليّة الأعمال وبعضها جاهلية القلوب فلا جاهلية على وجه الأرض

وهذا هو الذي أراده الرجل ... بدليل تصريحه بعدم تكفيره للناس في مواضع تأتي ...

وهذا هو مقتضى الإنصاف .. أنْ يحمل المبهم على الصريح ، والمجمل على المفصّل ..

ومن الإنصاف : أن لا يبخس النّاس صوابهم

ولا يعني هذا أبداً التستُّر على أخطاء المخطئين ، وانحراف المحرفين ، ولو كان عمر بن الخطاب ، فكيف بغيره ؟! مهما كانت ذريعة هذا التستُّر .. من حزبيات وسياسات وغيرها وقد ذكرنا أخطاء سيد بل زلّاته وحذّرنا منها في غير ما مناسبة ، وهذا هو العدل والإنصاف فلا إفراط ولا تفريط ، واللّه الهادي سواء السبيل

(١) « الظلال » (١٧) ظلل اللّه صاحبه بعرشه ، وأدخله جنته ، وعفا عنه في زلّاته

إنَّ التوحيد الذي يجب أن ندعو إليه هو : « أن يعبد اللَّه وحده ، لايشرك به شيء وعلى أن يعبد بما شرعه ، على لسان نبيه ﷺ ، وهذان هما حقيقة قولنا : أشهد أن لا إله إلّا اللَّه ، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله .

فالإله : الذي تألْهُهُ القلوب عبادة واستعانة ومحبة وتعظيماً وخوفاً ورجاء وإجلالاً وإكراماً ، واللَّه عزَّ وجلَّ له حقٌّ لا يشركه فيه غيره ، فلا يعبد إلّا اللَّه ولا يدعى إلّا اللَّه ، ولا يخاف إلّا اللَّه ، ولا يطاع إلّا اللَّه » (١)

وبالتالي ؛ **فإنَّ ثمرةَ التوحيد** : « إسلام العباد لرب العباد ، وإخراجهم من سلطان العباد في حاكميتهم ، وشرائعهم ، وقيمهم ، وتقاليدهم ، إلى سلطان اللَّه ، وحاكميته وشريعته وحده في كل شأن من شئون الحياة » (٢)

هذا هو التوحيد الذي ندعو إليه ، وهذا هو التوحيد الذي يجب أن يُبدأ به ، وهذا هو التوحيد الذي يجب أن يُرَبّى الناسُ عليه

وعلى هذا ؛ فليتّق اللَّهَ أولئك الذين يتهمون دعاة التوحيد بغير علم ولا تريث ، وليعلموا أنَّ الأَمر لا يؤخذ من تصرف فرد ، أو خطأ آخر .

أَثر التَّوحيد :

ولا يخفى على عاقل ما لهذا التوحيد الخالص الذي ندعو إليه من أثر في تربية الناس ، وتنشئتهم

---

(١) « الفتاوى » (٢٦٥/١) لشيخ الإسلام طيب اللَّه ثراه وجعل الجنة مأواه

(٢) « معالم في الطريق » (٤٦)

فإنَّ هذا التوحيد إذا ولج في القلب ، واستقرَّ في النَّفس ، قنت له العبد بما فيه للَّه ، فسلَّم العقلُ ، وخضعت الجوارحُ ، وذلّت النَّفسُ ، وصلحت سائر الأعضاء : « ألا إنَّ في الجسد مضغة ، إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ؛ ألا وهي القلب » [1].

قال ابن القيم رحمه اللَّه :

« فمن رسخت هذه الكلمة في قلبه بحقيقتها التي هي حقيقتُها ، واتصف قلبه بها ، وانصبغ بها بصبغة اللَّه التي لا أحسن صبغة منها ، فعرف حقيقتها الإلهية ، التي يثبتها قلبه للَّه ، ويشهد بها لسانه ، وتُصَدِّقُها جوارحه ، ونفى تلك الحقيقة ولوازمها عن كل ما سوى اللَّه ، وواطأ قلبه لسانه في هذا النفي والإثبات ، وانقادت جوارحه لمن شهد له بالوحدانية ، طائعة سالكة سبيلَ ربها ذللاً ، غير ناكبة عنها ، ولا باغية سواها بدلاً ،كما لا يبتغي القلب سوى معبوده الحق بدلاً ، فلا ريب أن هذه الكلمة من هذا القلب على هذا اللسان لا تزال تؤتي ثمرتها من العمل الصالح الصاعد إلى اللَّه كل وقت ... وشهادة أن لا إله إلّا اللَّه ، تثمر جميع الأعمال الصالحة الظاهرة والباطنة ، **فكل عمل صالح مرضي للَّه ثمرة هذه الكلمة** ... ولا تزال هذه الشجرة تثمر الأعمال الصالحة كل وقت ، بحسب ثباتها في القلب ، ومحبة القلب لها ، وإخلاصه فيها ، ومعرفته بحقيقتها ، وقيامه بحقوقها ، ومراعاتها حق رعايتها » [2].

---

(١) مسلم (١٢١٩/٣)

(٢) « إعلام الموقعين » (١٧٢/١) مع شيء يسير من التصرف

وقال سيد رحمه اللَّه :

« إنَّ الاعتقاد بالألوهية الواحدة قاعدة لمنهج حياة متكامل ، وليس مجرد عقيدة مستكنة في الضمائر ، وحدود العقيدة أبعد كثيراً من مجرد الاعتقاد الساكن

إنَّ حدود الاعتقاد تتسع وتترامى حتى تتناول كل جانب من جوانب الحياة » [1]

---

(١) كنت قد نقلت كلام سيد هذا في كتابي هذا مستشهداً به ، ثمَّ رأَيت أَحد الأخوة قد خطَّأ سيد قطب في هذا بل وضلله .. فعرضت هذا الكلام على شيخنا العلَّامة الألباني حفظه اللَّه بحضور بعض من انتقد هذا النص ، ليكون حكماً مرتضى .. فأيد الشيخ حفظه اللَّه كلام سيد ، وأعجب به ، وقال : هذا هو المعنى الصحيح للعقيدة ... واستدل على ذلك بأدلة من الكتاب والسنة ، منها أَنَّ الإيمان بضع وسبعون شعبة ... وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، وقال حفظه اللَّه : إذا لم يَدخل في عقيدة المرء أنَّ إماطة الأذى من الإيمان ، فليس له أجر إن عمل هذا العمل ... ثم استغل بعضهم لقائي هذا مع الشيخ ناصر ليوهم : أن الشيخ وأنا معه ، لا نرى وقوع سيد في أخطاء ، والتنبيه إليها ، وأننا نخطيء من يرد علي سيد ، وليست المسألة كذلك واعلم أَنَّه ليس في هذا أَي انتقاص للمنتقدين ممن هم أَعلم وأَقوم سبيلاً ، كما أن العصمة ليست لسيد ولا للمنتقدين ولا لأحد بعد الرسل .. نسأَل اللَّه عزَّ وجلَّ العون على الإنصاف
والمتأمل المنصف لكلام الداعية سيد رحمه اللَّه تعالى هذا والذي بعده ، يجد أنه موافق لمذهب السلف ، ولكلام الإمامين ابن القيم ومحمد بن عبد الوهاب رحمهما الله تعالى .
والظاهر أن سيد رحمه الله قد تأثر في آخر حياته بهذا المنهج ، منهج أولوية العقيدة ودعوة الناس إليها وتربيتهم عليها ، وسلك سبيله ، وترك ما عداه . وقد أخبرني أخوه الأستاذ الفاضل محمد حفظه الله بذلك ، وكتبه الأخيرة تؤكد ذلك

وقال :

« والقاعدة النظرية التي يقوم عليها الإسلام على مدار التاريخ البشري ، هي قاعدة « شهادة أن لا إله إلّا اللّه » أي : إفراد اللّه سبحانه بالألوهية والربوبية [ووصفه بأسمائه وصفاته التي وصف بها نفسه ، ووصفه بها رسوله ﷺ إثباتاً وتنزيهاً] [1] ، والقوامة والسلطان والحاكمية ، إفراده بها اعتقاداً في الضمير ، وعبادةً في الشعائر ، وشريعة في واقع الحياة » [2]

ولا يَلْزَمُ مِن هذا البتّةَ : تكفير الناس ، وإنما يعني بُعد الناس عن حقيقة التوحيد

قال سيد :

« **إننا لم نكفّر الناس** ، وهذا نقلٌ مشوّهٌ ، إنما نحن نقول : إنهم صاروا من ناحية الجهل بحقيقة العقيدة ، وعدم تصور مدلولها الصحيح ، والبعد عن الحياة الإسلامية ، إلى حالٍ تشبه حال المجتمعات الجاهلية ، وأنَّه من أجل هذا لا تكون نقطة البدء في الحركة هي قضية إقامة النظام الإسلامي ، ولكن تكون إعادة زرع العقيدة ، والتربية الأخلاقية الإسلامية **فالمسألة تتعلق بمنهج الحركة الإسلامية ، أكثر ما تتعلق بالحكم على الناس** » [3]

والمستبصر بواقع المسلمين يجد : أن معظمهم ما يزالون يجهلون حقيقة التوحيد .. يعانون من نقصٍ حادٍّ في التربية الإيمانية والخلقية والجهادية ، وإن

(١) ما بين القوسين زيادة من عندنا لا بد منها

(٢) « معالم في الطريق » (٤٤٨)

(٣) « لماذا أعدموني » (ص-٣٨) وهذا من الأدلة الصريحة من سيد رحمه اللّه على عدم تكفيره للناس جملة

مثل هؤلاء يفرُّون لأول صيحة ، ويباعون في أول عرض !

وأن مقوّم ردهم إلى دينهم هو : التربية بالتوحيد على المعنى الذي ذكرنا

قال سيد رحمه اللّه :

« التوحيد هو المقوم الأول للتصور الإسلامي ، وهو المقوم الأول في دين اللّه كله » (١)

وفي ختام هذا الفصل نحب أن نلفت النظر إلى أنَّ التوحيد الخالص هو ما كان مصدره من الكتاب والسنة ، من غير خلط بفلسفة يونانية ، وأكاذيب إسرائيلية ، وخرافات صوفية ، وآراء عصرية ، وعلم كلام مستورد ... أفسد على الناس فِطَرَهم ، وشوَّش على العباد عقائدهم ، وأفسد عليهم فهمهم للنبع الصافي نبع الكتاب والسنة ، وحق قول اللّه فينا :

﴿ وقالَ الرَّسول يا ربِّ إنَّ قَومي اتَّخذوا هذا القُرآنَ مَهجوراً ﴾ [الفرقان: ٣٠] .

---

(١) « خصائص التصور » فصل التوحيد (ص ٣٠٦)

ولقد أكثرت من النقول عن سيد رحمه الله ، وذلك لأغراض منها : أن يعي أتباعه ومحبوه وغيرهم منهجه الصحيح ، وأنه كان في آخر حياته من أبعد الناس عن العنف ، والأساليب المستحدثة ، وأنه كان يؤكد على أولوّية التوحيد ، وأهميته في العملية التربوية والبناء ، وضرورة ردّ الناس إلى فهم معنى كلمة التوحيد ، والتزامها بصدق في حياتهم العملية ، وأن التوحيد والأخلاق هما المحور الذي يجب أن يتربى عليه الناس حكاماً ومحكومين .

زبدة الكلام :

هل هذه الجماهير المسلمة التي تلهث وراء بعض الجماعات ، أو تلهث بعض الجماعات وراءها ، هل تربَّت على التوحيد الذي أراده اللَّه ! أم هي غثاء كغثاء السيل ؟

هل هذه الجماهير المسلمة التي تفرُّ عند تلويح العصا .. هل هي جماهير تربَّت على الصبر والابتلاء ؟

﴿ **أحسبَ النَّاس أن يُترَكوا أن يَقولوا آمنّا وهُم لا يُفتَنون** ﴾ [العنكبوت:١-٢]

هل هذه الجماهير المسلمة التي تُباع وتشترى بالدرهم والدينار .. هل تربَّت على الولاء والبراء للَّه ولرسوله وللمؤمنين ؟

أم صدق فيها قولُ الحبيب ﷺ :

« تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الدينار » [1]؟

هل هذه الجماهير التي تقف أحياناً لانتخاب من هبَّ ودبَّ ؟ أَو للوقوف في وجه الشريعة وأحكامها ؟ هل هي جماهير فهمت لا إله إلّا اللَّه ... نفياً وإثباتاً إيماناً وعملاً ؟ أم هي كالببغاء ، تردد ما لا تفهم ، وكالحمار يحمل أَسفاراً ؟!

هل هذه الجماهير حققت شرط التمكين في قوله تعالى : ﴿ **ولنسكننكم الأَرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد** ﴾ [إبراهيم:١٤]

هل حققت شرط اللَّه فخافت مقامه وخافت وعيده .. حتى يحقق لها اللَّه ما وعدها به من الإسكان ، هل هذه الجماهير التي نعقد عليها الآمال .. ونتطلَّع

(١) البخاري (رقم ٢٨٨٦)

بها نحو الآفاق .. هل هي جماهير أُوذيت في اللّه فصبرت .. وامتحنت بالتقوى ففازت ..؟!﴿ **أُولئك الَّذين امتحنَ الله قلوبهم للتقوى** ﴾ [الحجرات-٣] ، أَم هي جماهير تلهث وراء دنياها ... وتبحث عن لقمة عيشها ...؟!!

والخلاصة :

إنَّ الواجبَ الدعوةُ إلى التوحيد أولاً ، وبمفهومه الصحيح الواسع الشامل

وجهاد بلا توحيد .. كسراب بقيعة

وعبادة بلا توحيد .. كجسد بلا روح

ودعوة بلا توحيد .. كشجر بلا ثمر

ولا خير في صلاة ولا عبادة بلا توحيد ... ولا خير في دعوة وجهاد ... بلا توحيد ....

وما خُلقنا ، ولا بعثت الأنبياء ، ولا نزلت الكتب ، ولا أُمرنا بالصلاة ، ولا بأداء الزكاة ، ولا بحج البيت ، ولا بالجهاد ، ولا بقتال أعداء اللّه ، ولا بإقامة شرع اللّه على الأرض ، **إلّا للتوحيد وبالتوحيد وفي التوحيد** .

فكيف نفعل ما نفعل .. ونقوم بما نقوم به ، ونحن إما لا نعرف التوحيد حق معرفته ، وإما لا ندعو إليه ولا نوفّيه حقه ؟!

واللّه عزَّ وجلَّ يقول :

﴿ **أتأمرون النَّاس بالبرِّ وتنسونَ أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون** ﴾ **[البقرة:٤٤]**

ومن لم يتّعظ بالشرع لم يتّعظ بالواقع

واللّه من وراء القصد وإليه المصير

الأخلاق مع التوحيد

إن التمسُّك بالأخلاق مع التوحيد ، أمرٌ لا مندوحة فيه ، وقضيةٌ لا بد منها ، وذلك لأمرين :

الأول : أنَّ حسن الخلق بمثابة العصب في الجسم ، يربط بين الإخوان برباط وثيق من الأخوة والمحبة ، والتسامح والصفاء ، التي هي عناصر مهمة وعظيمة لا غنى عنها في بناء الصف الإسلامي ، وإنشاء المجتمع الإيماني .

الثاني : أنَّ فقدان الأخلاق الإسلامية في صفوف المسلمين جرّت عليهم الويلات ، وسبّبت لهم كثيراً من الخلافات والانشقاقات

وإذا كان كثيرٌ من الدعاة قد أدركوا ما للتوحيد من أهمية بالغة في البناء والتربية ، وأنَّه لا يحلُّ أن يسبقه شيء من جهاد أو سياسة أو غير ذلك ، لكنهم ما يزالون يعانون من نقص حادٍّ في التربية الأخلاقية ، الأمر الذي نجم عنه ثغرات كبيرة في العمل الإسلامي ، وشروخ عميقة في الميدان الجهادي ، صدّعت الجماعات الإسلامية ، وأوهت قواها ، بل وشتّتت شملها

ولهذا تجرّعَ العاملون للإسلام مرارة إهمالهم للتربية الخُلُقية ، فحصدوا التفرّق والشتات ، وَجَنَوا البغضاء والمهاترات ، وشماتة الأعداء ، فكان الفشلُ

قطافَهم ، مما هو ثمرة أكيدة من ثمراتِ « سوء الأخلاق » !

ومن تتبع أسباب الانشقاقات التي حصلت في الجماعات ، يجدُ معظمها أسباباً أخلاقية ، لا عقدية ولا منهجية

التوحيد والأَخلاق متواكبان :

ولذلك واكب دعوةَ رسول اللّه ﷺ للتوحيد حسنُ خلقه ، إن لم نقل : إنَّ حسن الخلق عند رسول اللّه ﷺ قد سبق الوحيَ ودعوة الناس للتوحيد ،

كما دل قول خديجة رضي اللّه عنها للنبي ﷺ عند نزول الوحي عليه وخوفه منه : « كلّا واللّه ما يخزيك اللّه أبداً ، إنَّك لتصل الرحم ، وتحمل الكَلّ ، وتكسب المعدوم ، وتُقري الضيف وتعين على نوائب الحق » [1]

وقال سبحانه :

﴿ وإنَّك لعلى خلقٍ عظيم ﴾ [القلم:٤]

ولذلك نلاحظ عناية الإسلام منذ اللحظة الأولى بالأخلاق ، فلم تقتصر الدعوةُ في العهد المكي على التوحيد فحسب ، بل كانت الآيات تطالب المسلمين بالأخلاق الفاضلة ، بعد بيان ما عليهم من التوحيد والإيمان ، قال تعالى : **﴿ ويلٌ للمطفّفين ﴾** [المطففين:١] ، وقال تعالى : **﴿ فأما اليتيم فلا تقهَر وأما السائل فلا تنهر ﴾** [الضُّحى : ٩-١٠] ، وقال سبحانه : **﴿ فذلك الذي يَدُعُّ اليتيم ولا يَحُضُّ على طعام المسكين ﴾** [الماعون:٢و٣] ، وقال سبحانه : **﴿ وما أدراك ما العقبة ، فكُّ رقبة ، أو إطعام في يوم ذي مسغبة ، يتيماً ذا مقربة ، أو مسكيناً ذا متربة ﴾** [البلد:١٢-١٦] .

(١) أخرجه البخاري (٣/١)

وهذه كلها آيات مكية تحثُّ على مكارم الأخلاق ، وحسن المعاملة ، ولذلك لم يبعثه اللَّهُ تعالى إلّا بعد أن سَمّته قريش : « الصادق الأمين »

وفي حديث أبي سفيان مع هرقل ، دلالة على هذا أيضاً ،

قال هرقل : فبماذا يأمركم ؟

قال أبو سفيان : يأمرنا أنَّ نعبد اللَّه وحده لا نشرك به شيئاً ، وينهانا عما كان يعبد آباؤنا ، ويأمرنا بالصلاة ، والصدقة ، والعفاف ، والوفاء بالعهد ، وأداء الأمانة ، ... الحديث [1]

ففيه أنَّ أبا سفيان - وهو كافرٌ يومئذ - كان يفهم أنَّ أول ما بدأ به الرسول ﷺ في دعوته .. التوحيد والأخلاق وبعض العبادات

وهذا كلُّه ؛ كان قبل التكلم عن النظام والتشريع ، والحكم والسياسة ، والجهاد والخروج ، ولكن قليلاً ما نتذكّر

وقال ﷺ :

« خصلتان لا تجتمعان في منافق : حسن سمت ، ولا فقه في الدين » [2]

قال سيّد :

« لا تكون نقطة البدء في الحركة هي قضية إقامة النظام الإسلامي ، ولكنْ تكون إعادة زرع العقيدة ، والتربية الأخلاقية الإسلامية » [3]

الخطأ الفاحش :

إنَّنا نُخطىء خطأً فاحشاً عندما نعتقد أنَّ دعوة تقوم بعقيدة دون أخلاق ...

---

(١) أخرجه البخاري (١٠٢/٣) وغيره

(٢) أخرجه الترمذي (٤٩/٥و٥٠) وغيره ، وصححه شيخنا في « صحيح الجامع » (٣٢٢٩).

(٣) « لماذا أعدموني ؟ » (٣٧)

وإنَّ هذا الخطأ يتفاقم ، عندما نظنُّ أنَّ جماعة تتمكّنُ بأخلاق دون عقيدة

إنَّ توحيداً بلا أخلاق ، يعني : فردية وجفاءاً ، وفظاظة وانفضاضاً ، ثم فشلاً ، ﴿ **ولو كنت فظّاً غليظَ القلب لانفضُّوا من حولك** ﴾ [آل عمران:١٥٩] .

وإنَّ أَخلاقاً بلا توحيد ... يعني : ورود مقطوفة ، تسرُّ أعين الناظرين ، ولكن ؛ سرعان ما تذبل وتموت

وإن توحيداً بلا أخلاق يعني : ورداً فيه شوك مؤلم

وإن مما ينبغي إدراكه أنَّ للأخلاق الإسلامية تأثيراً بالغاً في الدعوة ، لا يقلُّ أهمية - بكثير - عن تأثير التوحيد ...

فقد دعا رسول اللَّه ﷺ ثلاثة عشر عاماً في مكة ، فلم يُسلم على يديه سوى النزر اليسير ... ولما عفا عنهم في فتح مكة ، وظهر لهم من حسن خلقه ﷺ ما لم يكونوا يتوقعونه ... مع أنَّ القوة - يومئذ - بيده .. أسلم لذلك خَلْقٌ كثير

لقد آن للدعاة أن يدركوا هذه القضية ... فيلتزموا الأخلاق الحميدة ... ويدعوا إليها ...

فقدان المعاني :

إنَّ من أهمِّ ما يلفت النظر في هذه القضية البالغة الأهمية ، إن كثيراً من المسلمين لم يفقدوا الأخلاق فحسب ، بل وفقدوا معها معناها كذلك ، إلّا من رحم اللَّه تعالى ، فإنك إذا ما أردت أن تصلح بين اثنين ، فقلت لأحدهما : سامح أخاك ، أجابك على الفور : إنَّه أخطأ معي ... إنَّه ظلمني ... فكيف

أسامحه !؟ وعندئذ تعتري العاقلَ الحيرةُ ، وتتملّكه الدهشةُ .. أليست المسامحة إنما وُجدت دواء لخطأ الآخرين ، وأن المسامحة والتسامح لا تُطلب من فراغ ، إنما يعني التسامح : خطأ وظلماً من طرف ، وغفراناً وعفواً من الطرف الآخر ، فهذه المعادلة المتبادلة هي التي تسمى : تسامحاً ، ومع ذلك يُصِرُّ كثير من المسلمين على عدم إدراك هذا المعنى ، والإعراض عن تطبيقه .

كيف تتكوّن الأخلاق الحسنة ؟!

يتكون حُسْنُ الخُلُق من عواملَ كثيرة أهمها :

اليقين بالتوحيد ، وكثرة الطاعات :

إنَّ المؤمن إذا استيقن باللَّه وصفاته ، وأنّه يرى ويسمع ، ويحاسب ويجازي ، ظهر أثرُ هذا اليقين على جوارحه ، فازداد طاعةً وقُرباً من اللَّه ، فيزداد اللَّه قرباً منه ، حتى يحفظ عليه خلقه ولسانه وجوارحه

ففي الحديث القدسي : « ... وما تقرّب إليّ عبدي بشيء أحبَّ إليَّ مما افترضتُه عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينّه ، ولئن استعاذني لأعيذنه ... »[1] الحديث

الصدق والإخلاص :

إنَّ الصدقَ مع اللَّه تعالى ومع الناس ، يورث ضبط اللسان وصدقه ، وطيب الكلام وعذوبته :

---

(١) البخاري (٧/١٩٠)

« الكلمة الطيبة صدقة » [1].

والإخلاص لله وحده ، واليقين بما عنده من الأجر ، يورث العفو عن اعتداء الآخرين وظلمهم ، ومسامحته لهم وعفوه :

﴿ فمن عفا وأصلحَ فأجرُه على الله ﴾ [الشورى: ٤٠] .

القدوة :

إنَّ للقدوة أثراً قوياً وبالغاً - مباشراً وغير مباشر - في توجيه خُلُق المرء

ولذلك كان أصحاب الأنبياء وحواريُّوهم خير الناس وأفضلهم ، لتأثرهم بقدوتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

ولا أدل على ذلك من البيت الذي يكون فيه الأبوان متنازعين ، فينشأ الأطفال متنازعين ... حتى تجد الأخ ينازع أخاه في أتفه الأشياء ، وعلى العكس من ذلك إذا كان الأبوان متفاهمين متطاوعين ، نشأ الأولاد كذلك

وإذا كان الشيخ أو المدرس عبوساً ... نشأ الطلاب كذلك

وإذا كان الشيخ أو المدرس لطيفاً بشوشاً ... نشأ الطلاب كذلك

وإذا كانت القدوة من أب أو مدرس أو شيخ ، كثير المراء ، سيِّىء الأخلاق نشأ معظم الأتباع كذلك

والقدوة التي تهتم بالدليل والبرهان ، والنقاش الهادف ، تجد معظم أتباعهم كذلك

---

(١) أحمد (٣/٣٧٤) . والبخاري (٥/٢٢٦) ، ومسلم (رقم ١٠٠٩)

والقدوة التي تتبنّى الخرافة والتعصب والتقليد ، تجد معظم المقتدين بهم كذلك

ولهذا ؛ فعلى العلماء والدعاة ، أن يكونوا على قدر كبير من حسن الخلق ، وأن يدركوا أنَّ الناس يقتدون بهم ، ويتأثَّرون بتصرُّفاتهم مع الناس ، ومع بعضهم .

وكلّما استطاع العلماء والدعاة أن يُحَسِّنوا خُلَقَهم ، وأن يطيبوا كلامهم ، كان في ذلك خيرٌ عظيم على شباب هذه الصحوة ... كما أنَّ تصنُّع الأخلاق الحسنة مطلوب عند من فقده ...

التوجيه والتربية :

للتوجيه والتربية أثرٌ لا ينكَر في أخلاق الناس وتصرفاتهم، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر... فالمربِّي الذي يؤكد على حسن الخلق ، ويوجه أتباعه إلى ذلك ، تلحظ أثر هذا في سلوكهم ومعاملتهم ، والعكس صحيح . قال ﷺ :

« إنما العلم بالتعلُّم ، وإنما الحلم بالتحلم ... »[1] ومقتضاه : والخلق والتخلق

وينشأ ناشيء الفتيان فينا على ما كان عوَّده أبوه

ولذلك كان رسول اللَّه كَثيراً ما يذكر حسن الخلق ، ومنزلته عند اللَّه وعند الناس

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١٩/٣٩٥) عن معاوية ، والخطيب في تاريخه (٩/١٢٧) عن أبي هريرة ، وحسنه شيخنا في السلسلة رقم (٣٤٢)

البيئة :

المقصود بالبيئة : ما يحيط المرءَ من الأحوال والظروف والناس ، كالبيت والمدرسة والمسجد والمجتمع ، ولا أدلَّ على تأثير البيئة في أخلاق الناس ممَّا نلاحظه من تفاوت الأخلاق بين الشعوب ، فتجد هذا الشعب هادئاً ، وتجد ذلك الشعب كريماً ، وتلحظ شعباً آخر عجولاً ... والحكم للعموم .

وأشار إلى ذلك ﷺ بقوله :

« تحوّلوا عن مكانكم الذي أصابتكم فيه الغفلة » [1]

وقال ﷺ : « السكينة في أهل الغنم ، والفخر والرياء في الفدَّادين أهل الخيل وأهل الوبر » [2]

وفي حديث الرجل الذي قتل تسعةً وتسعين رجلاً ثم أكملهم مائة ، قال له العالم : « إرحل من أرضك فإنَّها أرض سوء » [3]

الفطرة والهداية :

وربما تجد أناساً - رغم تلك المؤثِّرات جميعاً ، من توحيد وشريعة وبيئة وقدوة - تجدهم قد خالفوا ذلك جميعاً ، وشذُّوا عنها ، إن خيراً فشر ، وإن شراً فخير ! فأما الأول : فتقديرٌ من اللَّه بكسب العبد ، وأما الآخر ففضلُ اللَّه يؤتيه من يشاء ، ولذلك كان عليه الصلاة والسلام يقول :

« اللهم اهدني لأحسن الأخلاق ، إنَّه لا يهدي لأحسنها إلّا أنت »[4]

---

(١) أبو داود (٤٣٥) وأصله في مسلم

(٢) مسلم (١/٧٢ و ٧٣)

(٣) سبق تخريجه

(٤) أحمد (١/٩٤) ، ومسلم (١/٥٣٥)

وأخيراً ؛ المناصحة والمتابعة :

إنَّ من أكبر أسباب تحسين الخلق : المناصحة والمتابعة

وأعني بذلك : متابعة بعضنا بعضاً ، في ألفاظنا وتصرُّفاتنا ، وهفواتنا وأَعمالنا ، ثم تقديم النصح بعضنا لبعض ؟ ، بالحكمة والرفق ... فإذا صدر من بعضنا خطأ خُلُقيّ ، سارع الأخ إلى أخيه ، في خلوة وابتسامة ، مذكِّراً إياه بالخُلُق الحسن ، وناصحاً له بالطريق الأمثل ، فيتتابع النصحُ ... ويتلقى المنصوحُ ذلك بقَبول حسن ، حتى يفتح اللَّه لنا ... في مجتمع يسوده الوئام ، ويعلوه حسن الخلق

فرق ما بيننا وما بين سلفنا :

وهذا هو فرق ما بيننا وبين السلف رضوان اللَّه عليهم ، وهو ممارسةُ ذلك على ساحة الواقع ، بتبادل النصح ، وقبوله

ألا ترى تلك الثلَّة الطيبة الطاهرة التي تخرّجت من مدرسة النبوة ، كيف كانوا يتبادلون النصح ، ويتواصون بالعمل به ، حتى أصبح كل واحد منهم أمة في سلوكه ، إماماً في أخلاقه ، رغم تفاوتهم في العلم والمعرفة !؟

إنَّ أصحاب النبي ﷺ لم يكونوا أنبياء ، لا يحصل فيهم خلافٌ ، ولا يحدث بينهم نزاع ، بل كان كل ذلك يحصل ... ولكنهم كانوا سريعي المسامحة ، سريعي الاستجابة للَّه ورسوله ﷺ ، شعارهم في ذلك قوله تعالى : ﴿ **إنَّ الَّذينَ اتَّقوا إذا مسَّهم طائفٌ من الشيطان تذكّروا فإذا هم مبصرون** ﴾ [الأعراف: ٢٠١]

وأما أهل زماننا ... وما أدراك ما أهل زماننا !!

فترى معظم المسلمين - وربما يكون بعضهم من المشايخ والدعاة والمتدينين - سيماهم العبوس ، وخُلُقُهم التكبر والاحتقار ، وشيمتهم الفظاظة وسوء الخلق ، وخليقتهم التعنُّت وسوء الظن

ويا ويل من ابتسم في درسه ! أو ألقى دعابة في حلقته ! أو راجعه في حكم ! أو ناقشه في فتوى وعلم ! وكأن ديننا دين العبوس والتكبر على الخلق !!

ولقد شهدت بعض المجالس التي يطرد منها الشاب اللطيف ، لمجرد مراجعة أبداها ، أو ابتسامة أظهرها ، أو فكاهة ألقاها

فصلَّى اللَّه وسلَّم على أسوتنا وحبيبنا وسيدنا القائل :

« إنَّما أنا رحمة مهداة » (١)

وقال ﷺ :

« إنما بعثتم ميسِّرين ، ولم تبعثوا معسِّرين » (٢)

وقال ﷺ :

« إنما بعثني اللَّه مبلغاً ، ولم يبعثني متعنِّتاً » (٣)

فبأبي وأمي وروحي أنت ما أحسنك معلماً ، وما أروعك مربّياً

صلَّى الله وسلَّم عليك ما رحمَ راحم ، وتعنت متعنت !

---

(١) أخرجه ابن سعد (١-١٩٢) وغيره ، وصححه شيخنا في « صحيح الجامع » (٢٥٣١)

(٢) أحمد (٢٣٩/٣) ، وصححه شيخنا في « صحيح الجامع » (٢٣٥٠) .

(٣) الترمذي (٤٢٣/٥) وصححه شيخنا في « صحيح الجامع » (٢٣٥١)

ما هي الأخلاق الحسنة ؟

وأما الأخلاق الحسنة فهي :

كفُّ الأذى ، وبذل الندى ، وتحمّل الأذى .

وطلاقة الوجه ، ولين القلب ، وطيب الكلام .

ودفع السيئة بالحسنة ، وحسن الظن ، وترك التلاوم

وإدامة الصمت إلّا في الحقّ ... والعدل في الغضب والرضا .

والإعراض عن الجاهلين ، والترفُّع عن سفاسف المغرضين

واجتناب احتقار الناس وهمزهم ، وغض الطرف عن غمزهم ولمزهم

وإذلال النفس للإخوان ، وإعزازها عمّا حرّم الديّان ..

وَأَنْ تعطيَ من حرمك ، وتصلَ من قطعك ، وتعفو عمّن ظلمك ، وتصفح عمن أساء إليك

وأدلة ذلك ليست بمجهولة عند الناس ، ولكن المجهول : هو العمل وممارسة ذلك على بساط الواقع !

وخلاصته :

إرضاء اللّه ثم إرضاء الخلق ، في السراء والضراء ، من غير سُخط الخالق .

وما كان بضدِّها فهو من سوء الخلق ، أعاذنا اللّه وإياكم من ذلك .

ومن المعوّقات :

الانتقام للنفس ، بدعوى أخذ الحق ، وذلك بالتكبر عن العفو ، أو بردّ السيئة بالسيئة ، ومعاملة الناس بمثل معاملتهم ، واللّه الهادي إلى سواء الأَخلاق

□□□□□

فضل حسن الخلق عند اللَّه وعند الناس

أما فضل حسن الخلق عند اللَّه تعالى ... فيتبين مما أعدَّ اللَّه لأصحابه من منزلة عظيمة عنده سبحانه

﴿ فمن عفا وأصلحَ فأجرُه على الله ﴾ [الشورى:٤٠]

﴿ والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ﴾ [آل عمران: ١٣٤] .

وقال ﷺ : « أثقل شيء في الميزان الخلق الحسن » (١)

وقال ﷺ :

« إنَّ المؤمن ليدرك بحسن الخلق درجة القائم الصائم » (٢)

وقال ﷺ :

« إنَّ أحبَّكم إلي وأقربكم مني في الآخرة مجالس أحاسنُكم أخلاقاً ، وإنَّ أبغضَكم إليّ وأبعدكم مني في الآخرة أسوؤكم أخلاقاً » (٣)

وسئل رسول اللَّه ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة ، فقال :

(١) أحمد (٤٥١/٦) ، وصححه شيخنا في « صحيح الجامع » (١٣٤)

(٢) أحمد (٩٠/٦) ، وصححه شيخنا في « صحيح الجامع » (١٩٣٢)

(٣) الترمذي (٣٧٠/٤) ، وصححه شيخنا في « صحيح الجامع » (١٥٣٥)

« تقوى اللَّه ، وحسن الخلق »

وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار ، فقال :

« الفم والفرج »[1]

وقال عليه الصلاة والسلام : « أفضل المؤمنين أحسنهم خلقاً »[2]

فانظر - يا عبداللَّه - كم لحسن الخلق من أجر عظيم ، وفضل كبير عند اللَّه سبحانه ، **رغم أنَّه أقل الأعمال كلفة ، وأيسرها مؤنة**

ثمار حسن الخلق

إننا إذا أدركنا السبيل إلى حسن الخلق ، واستطعنا نقله إلى الممارسة العملية ، والساحة الواقعية ، وذلك بالتزامه ، والتناصح الصادق فيه ، حتى ينتشر بين الناس ، فإذا انتشر ، انتشر معه صفاء القلوب ، وطيب الكلام ، وبشاشة الوجوه ، وصدق المعاملة .

فأَنعِم وقتئذ بخير عميم ، ومجتمع كريم .. وأبشِر حينئذٍ بحب صادق ، وتعاون مثمر .. وعندئذ يسود الوئام ، وتسمو النفوس ، وتعلو الهمم ، وتنعدم المخاصمات .. فيطيب العيش بينهم ، ويسري التسامح والإخاء في معاملاتهم .. فينقلب الخوف أمناً ، والريبة طمأنينة ، والقلق استقراراً .. فيأمن الناس على أنفسهم وأهليهم وأموالهم ... فخليقٌ - بعد ذلك - هذا المجتمع بحفظ اللَّه وتأييده ، ورعايته وتمكينه ، ولهذا كان الدين حسن الخلق

---

(١) الترمذي (٣٦٣/٤) وغيره ، وقال الترمذي : صحيح غريب ، وصححه شيخنا في « السلسلة » (٩٩٧)

(٢) ابن ماجه (٢ - ١٤٢٣) والبيهقي في الزهد (زقم ٤٥٦) والحاكم (٦٢٦/٣) والطبراني في الكبير (١٧ رقم ١٠٥) وصححه شيخنا في « صحيح الجامع » (١١٢٨)

قال ﷺ : « إنما بعثت لأتمم صالح - وفي رواية مكارم - الأَخلاق » [1]

وأخيراً :

على الدعاة والمربين أن لا يهملوا :

- مواكبة التوحيد بالخلق الحسن من حيث الأولوية في العملية التربوية وذلك بالتوجيه والإرشاد

- أن يشعر هؤلاء المربُّون والدعاة أنهم أسوة ، وأنَّ أيَّ تصرف منهم أو عمل أو كلمة هو بمثابة توجيه وإرشاد ، بل هو أقوى من التوجيه والإرشاد وأشدُّ منهما تأثيراً

لأنَّ الطالب يحاكي مربيه شاء أم أبى .. شعر بذلك أم لم يشعر

- إيجاد البيئة الطيِّبة والصحبة الصالحة التي تساعد الناشئة على تحسين خلقهم ، واستقامة أمرهم ، لأنَّ مجرد التعليم مع إهمال التربية وعدم توفر البيئة الصالحة لا يغني كثيراً

ومتى استطعنا أنْ ننقل هذا من صفحات الكتب إلى ساحات الواقع ، وأنْ نترجم هذا في ميدان العمل والدعوة ، عند ذلك نكون من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، فاستحقُّوا الاستخلاف ، واستحقُّوا التمكين

اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق إنَّه لا يهدي لأحسنها إلّا أنت ، واصرف عنا سيئها فإنه لا يصرف سيئها إلا أنت ، وأنت المستعان ولا حول ولا قوة إلا بك

(١) أحمد (٢٨١/٣) ، وصححه شيخنا في « صحيح الجامع » (٢٣٤٩)

الفهرس

مقدمة ٥
مباحث هذا الكتاب ٩
سبيل النجاة ١٠
ثلاث ومضات لثلاثة مسارات ١٢
أصل أصول الهداية وأدلته ١٦
زبدة هذه النصوص ٢٧
معالم وضوابط في العقيدة والمنهج ٢٩
ضابط العقيدة ٢٩
المنهاج : تعريفه وضابطه وقضاياه ٣١
من قضايا المنهاج ٣١
ومن قضايا المنهاج الرئيسية ٣٢
هل من منهج الصحابة ٣٤
من حكمة الله ورحمته وجود الطائفة المنصورة ٣٥
خلاصة أصل الأصول ٣٥

من أصول منهج الطائفة المنصورة ٣٨
الأصل الأول : التمسك بالإسلام جميعا ٣٩
الدعوة إلى التفريق من سبل الصد ٤٢
ما ضابط هذا التفريق ؟ ٤٢
من الصغائر والجزئيات ما يكون سببا في دخول الجنة أو النار ٤٤
شبهات ٤٨
الشبهة الأولى ٤٨
الشبهة الثانية : كيف نهتم بالجزئيات والعدو على الأبواب ٥٢
الحكم الفصل ٥٣
صور من التعاون المثمر ٥٣
لاعيب في التخصص ٥٤
ديننا دين اختصاص لا دين حقد وتنازع ٥٥
الأصل الثاني : الدعوة الى التوحيد أولا والعمل بالعبادات ثانيا مع
التمسك بالأخلاق دائما ٥٨
السياسة قبل الله أكبر ٦٠
يقولون هل نحن نهمل التوحيد ٦١
الدولة أولاً أم أين الله ٦١
ما هو التوحيد ؟ ٦٢
صور من الكفر المنسي ٦٣
التوحيد الخالص والنقي ٦٥
نقطتان هامتان ٦٧

أثر التوحيد ٧٠
زبدة الكلام ٧٥
والخلاصة ٧٦
الأخلاق مع التوحيد ٧٧
التوحيد والأخلاق متواكبان ٧٨
فقدان المعاني ٨٠
كيف تتكون الأخلاق الحسنة ٨٢
اليقين بالتوحيد وكثرة الطاعات ٨٢
الصدق والإخلاص ٨٢
القدوة ٨٣
التوجيه والتربية ٨٤
البيئة ٨٥
الفطرة والهداية ٨٥
وأخيراً المناصحة والمتابعة ٨٦
ماهي الأخلاق الحسنة ٨٨
فضل حسن الخلق عند اللّهِ وعندَ النَّاسِ ٩٠
ثمار حسن الخلق ٩١
الفهرس ٩٣